طلقة



www.kotobarabia.com

علاء حامد

طلْقَة

علاء حامد

فهرس

خطوة السلحفاة لتفريخ الإرهاب

فجأة بزغ في الأفق شئ هلامي .. تألق مثـل كوكـب دري .. حصدت رؤيته آهات التعجب والدهشـة ممزوجـة بالأسي والدموع .. رجف العالم وأذرعتـه تمتـد فـي ١١ سبتمبر الحزين لتفجر وتدمر فتهز عرش ديمقراطية أمريكا المكين وتعدل في خيوط نسيج ثوب سياسة أوربـا .. مثـل هذا الشئ يستحق منا التأمل والتفكير كيف استطاع بهلاميته تلك أن يسلط كل هذه القوة التدميريه ويختـرق دفاعـات أقوى دولة في العالم رغم أنه لا يتبني برنامجاً سياسـياً ولا يطرح نظرية اقتصادية .

وباسترجاع ذاكرة التاريخ نجد أن هذا الشـئ الهلامـي استطاع خلال فترة الثمانينات أن ينسج خيوطـه العنكبوتيـة على بعض الدول الشرق أوسطية محاولاً افتراس أنظمتهـا السياسية مما دفعها إلى تقطيع أنسـجة خيوطـه اللزجـة بفرض طوق أمني كثيف وبسن قوانيناً رادعة .. في مقدمة هذه الدول مصر المحروسة والتى كان لها جواد السبق في محاربة الإرهاب خاصة بعد مقتل رئيسـها السـادات فـي

حادث المنصة الغامض بخيوطـه المؤامرتيـة والخطـة المحكمة التى تم تنفيذها بدقة غريبة والأيادي الخفية التـى ساعدت هؤلاء القتلة !! وجاء تطبيـق قـوانين الطـوارئ معبراً عن مرحلة قاربت الفوضي من خـلال التفجيـرات واغتيال المسئولين وقتل الأبرياء والتـى أعطـت لـرئيس الجمهورية طبقاً للمادة الثالثة " السلطة " في وضـع القيـود على حرية الأشخاص فـي الاجتمـاع والانتقـال والإقامـة والمرور والقبض على المشتبه فيهم أو الخطرين واعتقالهم وتفتيش الأماكن أو الأشخاص ومراقبة الرسائل والصحف والنشرات والمطبوعات وكافة وسـائل التعبيـر والدعايـة والإعلان قبل نشرها وطبعها ومصادرتها واغلاق أمـاكن طبعها كما أعطته السلطة في الاستيلاء على أي منقـول أو عقار والأمر بفرض الحراسة وغيرها وغيرها من القيـود على حرية الإنسان وعلى ملكيته الخاصـة .. قابـل هـذا التوسع في الحجر على حريـة الإنسـان انفـلات معـايير التطبيق بالتضييق على الحريـات العامـة والتنصـل مـن الإصلاح الديمقراطي بالدعوة إلى سياسة خطـوة السـلحفاة خوفاً على مكاسب السلطة التى تحولت إلى جراد يلتهم كل

زرع ديمقراطي حتى ضاقت باحـة الحريـة وانمسـخت الديمقراطية لمسخ كريه المنظر يصـعب بـل يسـتحيل التعرف على ملامحه ..

لكن أمام رياح الديمقراطية الضـاغطة مـن الخـارج ولامتصاص حالة غضـب الشـارع المصـري لحالتـه الاقتصادية المتدنية قامت تشكيلات نظـام الحكـم المختلفـة بإجراءات مشوهة بتغيير مسميات المحاكم وإلغـاء بعـض الأوامر العسكرية ..

إجراءات مبتسرة لا تمثل تغييراً في منهج حكم الفـرد وسلطاته المطلقة وروج بعض ثقاة الحكم ليعلن في تبجح أن خطوة السلحفاة الأولى بدأت منذ عشر سنوات ولأنها سلحفاة فستصل إلى مضمار السباق مع الدول الديمقراطية ربما بعد خمسين عاماً أو ما يزيد .. نكتة يتم اطلاقها بـين الحـين والآخر ورغم أنها نكتة فلم تنفرج شفاة عن ابتسامة ذابلة لا يعلمون أن الناس زمزأت وأن ألاعيب ساسة الستينات لم تعد تنطلي على أحد بعد أن كشفت عـن وجههـا القبـيح بمجرد اطلاق بالونـات اختبـاره .. فديمقراطيـة خطـوة السلحفاة ليست في الواقع سوى تثبيت وتدعيم وابقاء وضع

راهن يعتمد في ادارته لشئون الدولة على حفنة من المنتفعين لا تتعدى أصابع اليدين تتحكم في مصائر ملايـين بعصـا قوانين الطوارئ..

وكان أن انقلبت الصورة ربما على ظهرهـا .. ربمـا على جنبها بعد أن أصبح قانون غايته محاربـة الإرهـاب مصدر ترهيب المواطن في حريته في لقمة خبزه بل وفـى كل شئون حياته اليومية وبالتالي تحولـت السـلطة إلـى بلطجي .. في الشارع وأقسام الشـرطة .. فـي دواويـن الحكومة .. في السجون .. في المعتقلات وعلى هذا المواطن أن يتلقى الضربات الموجعة بصبر أيوب وأن يتحمل بسعة صدر الحاجة والعوز وأن يرفع عقيرتـه بإبـداء الأعـذار للحكومة لفشلها في ضـبط ايقـاع المجتمـع السياسـي والاقتصادي والاجتماعي وأن يتغني بامتنان فـي صـوت شجي لامتاع الأسياد وأن ينافق الحاكم بغث الكـلام وأن يعلن مبايعته لديمقراطية خطوة السلحفاة رغم أنها ضـلت الطريق وهي الآن عائدة لنقطة الانطلاق .

أن خطورة الإرهاب ليس في حامل مدفعه بـل فـي العقيدة التى يؤمن بها .. فمنفذ أى عملية ارهابية ليس سوي أداه .. افراز .. أما ينابيع الإرهاب فـتكمن فـي الفلسـفة وعلى المجتمع الدولي من شرقه لغربه أن يتكاتف لتجفيـف تلك الينابيع وتدميرها فمن المدهش إلقاء مسئولية الإرهـاب على منفذيه دون التطرق للأسباب الحقيقية التى تدفع شاب في مقتبل عمره أو فتاة عـذراء للانتحـار !! أنهـا نفـس منظومة طبقة الحشاشين أتباع طائفة الاسـماعيلية عنـدما كانوا يقاتلون بشراسة بعد قضاء ليلة طويلة فـي جنـة أرضية يقطفون ثمارها مع أشهى الأطعمة وسطلة الحشيش وأفخاذ الجواري .. كانوا في قتالهم يسعون للموت لينعمـوا في الآخرة بالجنة التى رأوا بصيصاً منها منذ ساعات .

إنها ثقافة الانتحار للحصول على الجنة .. هذه الثقافـة لم تأتي من فراغ بل من تأثير خوار سياسي أزمـن وفقـر وصل للنخاع وتلوث اجتماعي طال كافة الفئات ومفارقـات طوابق صارخة .. أثرياء تسبح في برك المتعـة وفقـراء تغوص في الوحل فلا غرابة أن تصبح الجنة لهذه الفئـات

المحرومة الملاذ الوحيد والأمل المتبقي لحياة كريمة بعد الموت بثمن بخس .

هؤلاء الانتحاريون مجرد وسـيلة لغايـة وتصـفيتهم جسدياً لن يقضي على منظومة الإرهاب فهـم مثـل الـدود يتكاثرون بسرعة رهيبة .. مشكلة الإرهاب تكمن في كيفية استنباته .. فالنظم الديكتاتورية أرض صالحة لإنبات بذرته والفقر يرويه والظلم يغذيه والفساد يسمده وغيبـة الشـفافية تقوي عوده وانعدام المساواة وتكافؤ الفرص تعجل بنضـوج ثمرته والمناداة بالعودة لجذور الإسلام النمطي يسهم فـي تأجيج العداء ضد المسلمين وتوسيع الهوة بينه وبين الحرية والديمقراطية فالإسلام كغيره من الحضارات القديمة التـى غربت عنها الشمس أصبح تاريخاً رغم ما قدمه للإنسـانية من أفضال مثله مثل الحضارة المصرية القديمة والإغريقية والرومانية والفارسية والمسيحية كلها أسهمت فيما وصـلنا إليه من ازدهار وتقدم .. مراحل لابد من المـرور خلالهـا إلى عالم اليوم .. لكن ليس معنى هذا استدعاؤه من ركامات الماضي لتطبيقه على الحاضر والمستقبل .. نعـم مرجعـاً للقيم .. ملهما لمفهوم الأخلاق لكنه لا يصلح كنظـام لإدارة

دفة الحياة العصرية لا سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً بعـد أن تآمر عليه رجاله وهم يداومون علـى حقنـه بالغيبيـات الخرافات واللامعقول من الروايات حتى أدمن الاسترخاء وأصبح المسلمون أدنى المخلوقات العقلية ليس العيب فـي الإسلام بل المشكلة تخصنا ونحن نحاول ركـوب جمـل الصحراء لنسابق به سيارة أو مروحية ولا نفكر في ابتـداع فكرة وننفذها تنقلنا من الإسلام الماضي إلى الحاضـر بـل قمنا بعمل خلطة متنافرة مثيرة بين الدين كعقيدة وبين الحياة كمنهج وكان ان اختلط الحابل بالنابـل .. العلـم بالغيبيـات والدين بالسياسة .. فرأينا من يتصدى للعلم في صفحة كاملة بالأهرام مدللاً عليه بآيات من القرآن ومن يفـتح عيـادات لطب الآيات .. ومن يطرح الديمقراطيـة جانبـاً مطالبـاً بالحاكمية الإسلامية ومن يكفر المجتمعات غير الإسلامية .. كثير .. كثير حتى تحولت صورة الإسلام فـي أذهـان الغرب إلى وحش دموي مقيت يرهب الآمنين ويقتل الأطفال وأصبح اعتناق الإسلام وصمة توصم صـاحبها بالإرهـاب خلافاً للحقيقة فليس كل مسـلم ارهابيـاً وأن كـان أكثـر الإرهابيين مسلمون .. لكن هذا لا يعنـي أن العقيـدة هـي

المسبب والأسباب وأن الدين الإسلامي هو المتهم الوحيـد خلف القضبان ذلك أن منظومة الإرهاب تكمن في انحطاط المجتمعات المسلمة لغيـاب الديمقراطيـة وذبـح الحريـة واحساس المواطن بوطأة الظلم وافتقاده العدالـه وتفشـي البطالة وفساد أجهزة النظام وتزايد حدة المتناقضات مـن ثراء وفقر كل هذا ظاهر وواضح في لوحـة المجتمـع ولا مردود واحد للسلطة رغم خطورة الموقف وازدحامة لكافـة الاحتمالات بدءاً بالغضب وانتهـاء بالتفسـخ والانحـلال والثورة ومروراً بتفريخ الإرهاب .

فإذا كان المجتمع الدولي جـاداً فـي اجتثـاث جـذور الإرهاب فليس أمامه من سبيل سوى حرث أسـبابه حرثـاً جيداً وهو لن يستطيع ذلك بتدليل الأنظمـة الديكتاتوريـة التى تفرخ الإرهاب والدخول معها فـي حواريـات حـول امكانية الإصلاح السياسي من الخارج أو مـن الـداخل أو حول مراعاة ظروف كل بلد عند تطبيقه أو التدرج الزمني كل هذا مضيعة للوقت فالديمقراطيـة لا خـلاف عليهـا والحرية لا جدل حول مفهومها الثابت في المواثيق الدوليـة .. لذلك فالمطلوب هو تطبيق الديمقراطيـة كمـا عرفهـا

المجتمع الدولي ودون اجتزاء حتى لا نرى مسخ ديمقراطـي لا نستطيع تبين ملامحه وعلى هذا المجتمع الدولي حمايـة الشعوب المغلوبة على أمرها بالضغط بكل ثقله السياسـي على النظم الديكتاتورية لتغيير سياستها تجاه تلك الشـعوب باتخاذ خطوات جادة نحو الإصلاح السياسي حتى ولو أدى الأمر بالتهديد باستعمال القوة المسلحة ووضعها فـي الـلا بديل اما الإصلاح بالتهديد الخارجي أو الإصلاح بالرحيل..

سياسة

الوتد والقيد والعصا والبرسيم

المتأمل لطبائع الحمار يجد عجباً .. يصبر على الأذى .. يتحمل الألم .. يكسل كسلحفاة .. عادة لا يخـرج مـن حالة الكسل التى تلازمه إلا بعد ضربه أو نخسه بالعصـا أو غزه أسفل البطن بالقدمين .. إذا ما أطلقه صـاحبه فـي حقل برسيم فالقيد ضرورة ملحة حتى لا يشيع الفوضي فـي أرجاء الحقل .. رغم كل هـذا فهـو مطيـع .. مسـالم .. مستكين يفعل ما يؤتمر به داخل الحقل وخارجه ببردعة أو بدونها .. نادراً ما يعض أو يرفص .

وبارتباطنا نحن ما نتسمي بالعرب بهذا الحمار الـذى كتبنا عنه ملاحماً وأشعاراً بارتباطنا هذا الذى استمر أزمنـة وقرون بدأنا نكتسب بعضاً من خصائصـه .. الصـبر .. والتحمل .. والكسل .. والطاعة .. والاسـتكانة .. وربمـا العكس من طول فترة معاشرة لهذا الحيوان اكتسب هو تلـك الخصائص والعادات !!

علينا أن نعترف أن عيون أمريكا علينا ترصد حركتنـا .. تراقب طبائعنا وأسلوب حياتنا مأكلنـا .. ومشـربنا .. وملبسنا .. وسكنانا حتى فراشنا وطريقة قضاء حاجتنا !!

ويقيناً ليس خافياً علـى عيـون أمريكـا الإلكترونيـة التماثل الحاصل بن طبائعنا والحمـار .. والـذى اسـتغلته أمريكا بذكاء في ترسيم استراتيجية سياستها مـع الأنظمـة العربية معتمدة على تلك العناصر الفريدة .. الوتد والقيـد والعصا والبرسيم ومن ثم فقد تم تطبيق تلك السياسة بدقـة متناهية .. التلويح والضرب بالعصا لكل من تسـول لـه نفسه فك أو قطع الحبل بخرق قواعد اللعبة السياسية التى تحدد لأي نظام أساس دائرة حركته فلا يتجاوزها فـإذا مـا حدث فالعصا لمن عصا والويل والثبور وعظائم الأمـور .. لكن المقابل ؟! البرسيم المتمثل في مظلة اخترعتها أمريكـا لحماية دول الخليج أو " الهم " " المم" المتمثل في معونات تقدم لمصر والأردن .

وكان أن نجحت تلك السياسـة المؤيـدة مـن دول المجمع الأوربي نجاحاً منقطع النظير فتم ضرب العـراق

وليبيا والسودان بالعصا الطويلة المسحورة مع التلويح بها لباقي الأنظمة العربية .. كش ملك .. أو كش رئيس الهـدف من تلك السياسة ليس اسقاط هـذه الأنظمـة الشـمولية أو الاطاحة بقادتها بل الحفاظ على استقرارها واسـتمراريتها لغاية دفن طموحات الشعوب بقصقصة أجنحتها وتطويـق حركة تقدمها ودفعها إلى الخلف عشـرات وربمـا مئـات السنين وفى النهاية القذف بها إلى احدى مزابل التـاريخ وهو نفس هدف الأنظمة الحاكمة وهى تتعامل مع شعوبها .

والسبب في هذا التماثل الغائي ليس عسيراً على الفهـم ففى ظل التخلف يتم أحكام قبضة النظام على رقبة الشعوب وبالتالي استمرار قادتها في الحكم إلى ما شاء ا بعيداً عن مصلحة شعوبهم وهي نفس غاية أمريكا لكنها غاية تغلـف الهدف الحقيقي وهو العمل على استمرار تخلف الشـعوب بتقليم أظافرها وتهشيم أنيابها .

لهذا قامت تلك الأنظمة باستعمال نفس أدوات أمريكـا لقيادة شعوبها الوتد والقيد والعصـا والبرسـيم . المـواطن مربوط بقيد في وتد النظام .. غير مسموح لـه بحريـة الحركة إلا في نطاق هذا القيد فإذا ما تهور وفكـه أو مـدد

الحبل كان الجزاء على نقيض الفعل .. العصا بصـورها المختلفة .. أولها السجن وآخرها القتل وما بـين الاثنـين صور تصيب الإنسان بالتقزز والكآبة .. التفريق .. الفصل من العمل قطع الرزق الحصار المادي والنفسي والمعنوي .

رغم أن للوتد في النظام الديمقراطية مرمـوز مغـاير تماماً لنظيره في النظم الشمولية .. فالوتـد يتمثـل فـي دستور يربط الحاكم بقيد مجموعة القوانين التـى تحـدد نطاق حركته في تنفيذ برنامجه الانتخابي الـذى أفـرزه لتقلد الحكم .

الفرق شاسع بـين الـنظم الديمقراطيـة والشـمولية فالمربوط في النظم الديمقراطية هو الحاكم وفـي الثانيـة المواطن في الأولي الشعب هو صاحب الحمار وفى الثانية الحكام بتغيير النظام من ديمقراطي إلـى شـمولي تتبـدل الأماكن فتنتقل العصا من يد الشعب إلى الحاكم يذل بهـا من يشاء ويرعب بها من يتطاول على نقد نظام حكمـه أو أسلوب حياة الفخفخة التي يعيشها هو وأسـرته فتتحـول عصا القانون إلى عصا ارهاب ويتحول الإرهـاب مـن إرهاب فرد إلى ارهاب دولة وهو أشـد أنـواع الإرهـاب

تنكيلا .. نراه في قمع المظاهرات في اجهاض الفكر .. فـي غلق الصحف .. في نصوص قوانين الطوارئ .. نراه في سجن الكتاب وجلادهم .. صور كثيرة تبعث على الاشمئزاز والقرف .. ارهاب تسنده مشروعية سياسية فـي مواجهـة أفراد لا حول لهم ولا قوة ..

وكان أن اتجهـت تلـك المجتمعـات إلـى التقوقـع والإنزواء وراء غيبية النص الديني داعية علـى الحكـام بقصف أعمارهم مستنجدة بالإرادة العليـا لرفـع الغـبن الواقع عليها .. هـذا هـو ملمـح التفرقـة بـين الـنظم الديمقراطية وتلك الشمولية في الدول العربية ، لم يكـن المربوط أبداً الحاكم بل الشعب المغلوب على أمره .

فإذا انتقلنا من التعميم إلى التخصيص لنعرف مكاننا نحن المصريين من الوتد نجد العجب العجاب .. قبل ٥٢ كانت الحكومات مربوطة بمجموعة القوانين فـي الوتـد "الدستور" لكن بعد انقلابه يوليو وبعد الغـاء كـل صـور الديمقراطية من دستور وأحزاب وصـحف وتظـاهرات أصبح المربوط هو المواطن الذى تم ربطه جيداً بقيد ترسانة القوانين الاستثنائية في وتد النظام لأقصر مسافة ممكنة ..

المسافة التى تسمح له فقط الحصول على طعامه وشـرابه وجنسه .. مسافة ضاق فيها بعد الحرية فعجز الإنسان عن تطوير معالمه الإنسانية من ابداع وتخيـل وانطـلاق .. وتحول المواطن إلى رقم من الأرقام واحد اثنين ثلاثة عشرة .. لا تحمل أى مضمون سوى أنه حالة من ضمن حـالات الخنوع السياسي .. تلى تلك مرحلة اجهـاض الديمقراطيـة قرارات التأميم وفرض الحراسات والاصـلاح الزراعـي فزادت حدة القيد بعد أن تحول إلى أساور حديدية توجـع وتؤلم .

تحولت فئة نشطاء العقول في المجتمع إلى مجموعـة متسولين للاعانة الشهرية من الحكومـة وبعـد أن فقـدت الحياة الاقتصادية ديناميكيتها ورونقها بالتـأميم والحراسـة زادت الهوة اتساعاً وأصبحنا على شفا الانهيـار وتحولـت ديمقراطيتنا إلى ردة حضارية وهلت علينا نكسة ٦٧ فـإذا بالمواطن قد أصبح لصيقاً بالوتد .. هو والوتد سواء .. بعد أن تم تقصير الحبل إلى المدي الذى لا يسمح له إلا بحريـة البقاء على قيد الحياة .. ثـم فوجئنـا بمـا سـمي بثـورة التصحيح .. وهي في حقيقة الأمر .. ليست ثورة بـالمعني

الشائع .. بل تثبيت وتدعيم لمراكز جديدة حلـت محـل لمراكز القديمة وكان لابد لاستقرارها اطلاق الحبل قلـيلاً من لفافاته حول الوتد لحد السماح بتكوين رؤوس كباري .. نقاط ارتكاز في محاولة لفتح الثغرات في خط الديكتاتورية .. تسمح تلك النقاط بمرور بعض نصوص قـوانين فـي عملية احلال سريعة لفصيل مخنث من الديمقراطية مكـان الديكتاتوريـة أو بمعنـى أدق ديكتاتوريـة مقنعـة بقنـاع ديمقراطي لكن سرعان ما انكشف الوجه الحقيقي فـي أول اختبار مع بعض رموز المعارضة ورجال الـدين عنـدما أرسلهم النظام خلف القضبان .. تلا ذلك عصر من أغـرب العصور ففي الوقت الذى ظن فيه بعض المتفائلين أن حبـل الحرية طال بعد الصبر ما طال !! للدرجة التـى تتـيح حرية الحركة في ساحة الحقل السياسي فإذا بالحبل يقصـر ويقصر باستعمال آليات دخيلة على الفكر السياسي الحـر وبأسلوب حاد غير مفهوم خلخل تلك لبنة الحرية الأولـي التى تم بنائها بعد تردد وأصبحنا أمام منظومة لا شكل ولا طعم ولا رائحة لها يحتار المحلل الحصيف الواعي فـي توصيفها هل هي ديمقراطية أم ديكتاتورية أو ديمقتاتورية أم

شئ آخر بعيد تماماً عن هذا وذلك لم تألفه الحياة السياسـية فقد سمح بتكوين الأحزاب "ديمقراطية" عن طريـق قيـد لجنة الأحزاب "غير" وأطلقـت حريـة أصـدار الصـحف "ديمقراطية" بعد موافقة المجلس الأعلى للصحافة "غير" .. وتم أعمال قانون الطوارئ في مواجهـة شـرائح لا تمـت للإرهاب بصلة وسجن بعض الكتاب وتـم اعتقـال ونفـي آخرين كما تم تطبيق قانون الاشتباه بحـذافيره علـى آلاف المواطنين الشرفاء لمجرد تواجدهم في الشـارع أو فـي المقاهي .. ومنعت المظاهرات وتم سحب تراخيص بعض الصحف إلى حد غلق مقر حزب بالشمع الأحمر لذلك لـم يكن غريباً اصابة الوعي بالاحباط وكان أن تحـول فصـل التزهير السياسي الذى أينعت خلاله زهـور الحريـة إلـى خريف وتساقطت فيه الزهور والأوراق وذبلت الغصون .

وفى ظل هذا الاكتئاب السياسي وبدلاً من قرع طبول التحذير من الانحدار لهوة الشمولية رأينا من يقـف فـي مجلس الشعب . الحصن الحصين للديمقراطية .. يستعدي الحكومة ضد الحرية ويسخر من قيمها ويستهجنها كأنهـا راقصة درجة ثالثة من خلال تمجيـده لقـانون الطـوارئ

والتغزل في قدسية نصوصه وأعلاء شأنه فلولاه لكانـت الحياة سداد مداح !! ولتحول المجتمع إلى جمع من القـردة الخاسئة تتقاتل فإذا عجزت عن الحصـول علـى قوتهـا التهمت بعضها البعض .. ما هذا وما ذاك .. هل نحن حقاً في القرن الواحد والعشرين .. وأن هذا المتحدث من سـكان هذا العصر .. أم أنه أتى الينا من عصور سحيقة - العودة من الماضي – أتي إلينا كما تطالعنا بعض الأفلام بأفكـار تنتمي للقرن السابع عشر .. أتى إلينا بعد أن غير هندامـه فارتدي كرافتة وقميص وبدلة لكنه يحمل نفـس الأفكـار البالية حول تمجيد الديكتاتورية إلى حـد إقامـة نصـب تذكاري لها . مثل هذا الرجل هو عدو للشعب رقم واحـد ويجب محاكمته أمام محكمة شعبية .

إن قاعدة العجز والتعجيز والتى استسلمنا لمنطوقهـا خلال السنوات السابقة تطبيقاً للمقولة المأثورة لـيس فـي الإمكان أبدع مما كان هذه القاعدة شـاخت وعفـا عليهـا الزمن ولم تعد تتلائم مع مستحدثات العولمـة .. فـالعجز الذى أصاب الحياة السياسية بالعقم ليس سـببه أننـا فعـلاً عاجزون .. بل سببه الإحساس المرضي بالتعجيز وحتى

نخرج من حالة اللاوعي السياسي على النظـام أن يكفـل أدوات تحفيز العقل البشري لخوض التجربة الديمقراطيـة تلك الأدوات المتمثلة في كفالة الحرية والاختيار .. مـن خلال نظام ديمقراطي تدعمـه أحـزاب وصـحف لهـا استقلاليتها وذاتيتها يتغير معها المربوط بالوتـد ليصـبح النظام بدلاً من المواطن. بغير هذا ستبقي نظريـة الوتـد الشمولية هي عصب الحياة السياسية ليس في مصر وحدها بل في كافة الدول العربية .

وستظل أمريكا مع وجود تلك الأنظمة الشمولية هى وتد تلك الأنظمة في الساحة السياسية.

طنطن يطنطن طنطينا

شعار المرحلة التى نعيشها الآن بعد أن غفر ا لنـا أخيراً ما تقدم من ذنب الصمت وما تأخر منه والقيادة تعلـن أنه لا لحبس الكلمة بعد اليوم في مصر المكتئبـة برجالهـا العماليق الذى استطاعوا خـلال فتـرة وجيـزة تحسـب بعشرات الأعوام !! وبقدرة جـوبلر الـذين تفـوق قـدرات موسوليني وهتلر ومانجستو من أن يسجنوا الكلمـة داخـل قمقم ثم اغلاقه جيداً بترسـانة قـوانين تعـذيب الكلمـة وأصحابها من مصادرة وحبس واغلاق وقطـع أرزاق ثـم الترويج بالفم المليـان لأطروحـات سياسـية اسـتبدادية ديكتاتورية بدأت بهيئة التحرير وحتى الآن لا ندري التحرير من ماذا ؟ وانتهت بحزب وداد جلبي يـا بـوي ومـروراً باتحاد الشرك العربي وبعد أن اطمأن أصحاب العقد والربط من سجن الكلمة أقاموا عليها حراسة مشددة جيش وشـرطة ومخبرين وأفاقين وولاد الإيه وفى كل مرة تجـنح الكلمـة للحرية وتنجح في الهرب من القمقم يعيدها السـجان بكـل قسوة وعنف إلى قمقمها وابتسامة النصر تعلو شفتيه فـي

زهو وغرور .. لكن بعد أن من ا على النـاس برضـائه الإلهي المفتخر والقيادة تعلن بملئ شفتيها بلا مواربة وفى صراحة ووضوح إنه لا حبس للكلمة وبعد أن نزل الخبـر على مبدعي الكلمة برداً وسلاماً وتأكد لجموعهم أن نـار الحبس قد انطفأت جذوتها وبات الكاتب وقلمه فـي مـأمن من وهج نارها تأكد لهم أيضاً بما لا يدع مجالاً للشك انهـم لم يولدوا أحراراً وأن الحرية بمفهومها الفوضوي ليسـت ملك أياديهم أو طوع إرادتهم بل لها صـاحب يرعاهـا ويحنو عليها ويربت على مؤخرتها .. مثل جارية يهبها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء ولا حدود لرغبته في المنح والمنع .. وتأكد لهم أيضاً أن الكلمة هي الأخرى لم تولد حره بـل عبده .. ذليلة مثلها مثل الحرية .. توأمتان من رحم السلطة لها عليهما حق الحياة والموت وما دون ذلـك مـن سـجن واعتقال ومصـادره وتعـذيب رغـم أن هـذا المفهـوم السلطوى يتعارض ويتنابذ مع قاعدة ربانيـة أن الحريـة إحدي موروثات ا للإنسان . أعطاها لآدم وهو يخيـره بين الجنة والأرض فاختار الأرض فلا فضل لأحد يتسـمي بالبشر في تواجدها حتى ولو كان يرتدي جبة حاكم فإذا ما

جاء من يدعي لنفسه الحق في منحها أو منعها فهو جـائر استبدادي لأنه يخالف قاعدة أساسية اسـتنها الخـالق و يجب مقاومته . وبالتالي للجموع الحق في مقاومته .. وأكم من أعطي لنفسه الحق في المنع والحظر وفرض الحصـار على الكلمة بأسوار الجهل والتخلف لتتحول في النهاية تلك الأسوار إلى جدار عازل يفصل ما بين الكاتـب والكلمـة الحرة التى أورثه أياها الخالق عز وجـل . وهـو نفـس الجدار الذى يفصل بين الحاكم وجموع الشعب التى تتـوق للحرية وتناضل من أجل الحصول عليها جدار مزدوج لا يختلف كثيراً عن جدار اسرائيل العازل ويحـار الإنسـان البسيط حول تلك الطنطة الغريبة التى يتشدق بهـا رجـال كباره والقيادة تعلن نيتها حول تحطيم هذا الجدار العازل .. بمجرد إعلان هذه النية بدأت الطنطنة من مرحلة الهمـس إلى الصلصة .. أن القيادة التى نفخر بها تحطـم أسـوار سجن الحرية وتحول مضمون القضية من حق مستلب يعود لأصحابه إلى هبة تتفضل بها القيادة .. شكراً لأنها تعيد الشئ لأصله والأمر لنصابه .. شكراً لأنها تستعدل المقلوب مثل قاضي أنصف مظلوماً .. لم ينشئ حقا بحكمة بل أقـر حقـاً

موجوداً ولما حدث سمعنا أصوات المزامير وهي تغنـي للقيادة المباركة على هذا العمل الجليل الذى لم يخرج عـن كونه نية مبيتة ولأن النيات لا يحاسب عليها الإنسان فلـه الحق في الرجوع عنها كما شاء وفى أى وقت يراه مناسباً . لذلك فعلينا الانتظار حتى تتحول النية المبينة إلى فعل وحتى هذه اللحظة فرحمة بالناس من طنين الطنطنة ..

والسؤال أين الشارع من كل هذا وما دوره .. الشـارع مغيب وحتى يفيق من غيبوبته لابد من هزة .. من صفعة .. صفعات حتى يستفيق وينهض ليؤدي دوره في تصحيح وضع الهرم المقلوب بأيادي قـوانين الطـوارئ الشرسـة وبنصوص الدستور المفسودة التى تدعم حكم الفرد وتدوس بقسوة حافرها على الحرية وعلى الأمل في حياة ديمقراطيـة وهي تدفع لشرايين الإرادة بفيروس الخنـوع والاستسـلام وهذا سبب ما نجنيه الآن من حالة التوهان عطاشى يبحثـون عن نبع يرتوون منه وهو تحت أقدامهم لكنه عمى الإبصـار عن رؤية مالا تريد السلطة .

علام هذه الطنطة الكبرى علاما .. هل هي البداية أم نهاية المطاف .. هل هي بداية اصلاح سياسي شامل نلغـي

فيه حالة الطوارئ والقوانين الاستثنائية ونضـع دسـتوراً جديداً يشـبع حاجـات الشـارع الأساسـية مـن الحريـة والديمقراطية ونجدد به شباب الأمة أم أنهـا طنطنـة لـن تخرج من جلباب النية المبيتة مجرد طنطنة .

خطاب مفتوح لمهموم .. بنا

سيدي المهموم بنا .. تحية طيبة وبعد ..

لقد تحملت عنا هموماً مدة تجاوزت ربـع قـرن مـن الزمان .. وبذلت أقصى ما في طاقتـك لمـداواة جـراح الإنسان وأمسكت بالزمام والنجس يحتل عرضنا في غرور وصاف وكبرياء واستطعت بسعة صدرك وطول بالـك أن تحرر المكان من دنس الاحتلال ولأول مرة تتنسم عبيـر الاستقلال والأمان بعد أن تمكنت من رقبة الإرهاب يعاونك رجال أشداء مفتولي الهمة وعلقت جثته في أوسع ميـدان يراها الرائح والغادي عبرة لكل من تسول له نفسـه علـى أتيان خسيس الفعال وانتقلت بنا نقلة واسـعة مـن فكـر الاقتصاد المشمول باستلاب الثروات بالتأميم والحراسـات إلى فلسفة الاقتصاد الحر حيث تلعـب فيـه الإرادة كـل الأدوار .. فعلت من أجلنا الكثير ونحن نخرج مـن عنـق الزجاجة الممزلق إلى بطنها لنتحول إلى سـجناء الزجـاج الشفاف وأنت ترصد بعيونك كل حركة وسكنة لنا حتـى أنفاسنا تعدها علينا حتى لا نتحول لبركان يقذف حممه !!

لقد فعلت من أجلنا الكثير وأنت ترمم جسراً كاد أن ينهـار بين قبطنا ومسلمينا بسـلاح الخـوف والترهيـب أحيانـاً والترغيب أحياناً أخرى .. وقمت فيناً منادياً تحـذرنا مـن تناسل الفئران .. ورسمت لنا بوعودك البراقة أمل في غد ننعم فيه بحقنا في الحياه كإنسان وابتنيت جسوراً نعبر من خلالها إلى المستقبل .. كل هذا منك نقدره أحسن تقدير فما قدمته من أعمال أثناء مسيرتك معنا يفوق الخيال بـل هـو الخيال . لكن في المقابل تحملنا عـن جلاديـك أخطـاء لا يحتملها بشر في زمان وهم يسنون قوانينا مشبوهه تقتل فـي الأنفس معاني الشرف والصدق والعدالة والسلام والأمل فـي الخروج من الزحام .

تزاحم في الحصول علي لقمة العيش بعـد أن جفـت ينابيعه وما عاد أمامنا من وسيلة سوى أن نأكل من وسـخ نعال الأثرياء أو قمامة الوجهاء . تزاحم في الإيواء داخـل شقة بلا سقف أو عنوان مرسومة فقط على الورق أو فـي الأذهان .. تزاحم على وظيفة عنـوان الحصـول عليهـا الواسطة والرشوة والمحسوبية ، تحملنا عنـك يـد زبانيـة تقصف كل قلم يرسم للحرية لوحة ألوانهـا التمـرد ضـد

الفاشية وكشف فساد الخاصـة وقـد انتفخـت كروشـهم .. ومويقات السلطة وقد فاحت رائحتها في الأرجاء .

لهذا ولأسباب أخرى كثيرة يعف عـن الخـوض فيهـا اللسان أقول لك شكراً أيها المسئول الهمام فقد انتهت مهمتك على خير ما يرام وعليك أن تركن للراحة والاستجمام وليس هذا معناه أننا نخذلك أو نتنصل من منجزاتك أو نفـرط فـي ماضيك أو نزج بك في أتون الاتهـام لنحاكمـك أمـام محكمة تعصف ما تبقي لك من أيام بل كل ما في الأمر أننا تخطينا مرحلة الأوهام بعد أن وعينا تماما احترام قـانون الأشياء الذى يوجب التغيير والتبديل ناموس استمرار الحياة .. لذلك فليس من المعقول أن نكون أدنـي مـن الأشـياء بإبقائك مهموماً بنا حتى الممات ..

فلا تتعجب سيدى المهموم إذا انجب المجتمع من رحم معاناته خلال سنوات عجاف من كان " طويل الهامة " هـذا الذى تطول هامته السماء تغذيه شموس الحرية المنتشـرة في البقاع وتسرى في عروقه دماء الاختيار يسحق بقدمـه كل أفاعيل صفوتك الشنعاء وهم يقرعون الطبل عسـى أن

يسمع الدقات النشاز شياطين بلهاء تـأتي لانقـاذهم مـن مصير الدهماء .

ولا تندهش إذا رسب "طويل الهامة" في مـادة الـولاء لشخصك الكريم رسوباً مدوياً يصعب على الإفهام من خلال أسئلتك الاجبارية العويصة .. سـألته عـن الديمقراطيـة فأجابك بأنها حكم الإنسان لذاته .. وسألته عـن الحريـة فكانت أجابته فريدة هى تاج الإرادة بلا أغلال أو قيـود .. خالفت إجابته كل معتقداتك لهذا رسب فـي الامتحـان بدرجة صفر وهذا وضعك سيدي المسئول في موقف حرج .. فإما أن تعدل النتيجة في الكنترول السياسي من الرسوب إلى النجاح وهذا يستلزم منك تغييراً شاملاً جامعاً في مـنهج الحياة .. فعليك أن تحرث التربة حرثاً جيداً وأن تطهرهـا من الحشائش الضارة وأن تنتقي البذور السليمة .. وقبل أن تنثرها في التربة عليك أن تسمد الأرض .. إمـا هـذا أو الانسحاب من الساحة .. فإذا كان قدرك الانسحاب فلـيس هذا راجعاً لرغبتك الحرة بل لإرادتنا التى لا تملك حيالهـا سوى التسليم وحريتنا التـى لا تسـتطيع حجبهـا عنـا ومصلحتنا التى نحن أدرى بها وما عليك سـوى أن تتركنـا

نخوض التجربة دون الاستعانة بعكاز سلطتك فإذا مـا تعثرنا فهي البداية سرعان ما ننهض بعـد أن تشـتد منـا السيقان .. وبهذا فقط تضرب عصـفورين بحجـر واحـد أولهما تولي من هو "طويل الهامة" الزمام وثانيهمـا منـع كارثة كبرى يرفرف علمها .في بركة من الدماء .. كارثة أن نداس بأقدام الأمريكان أو نصبح طعماً لأسـماك القـرش تلتهمنا أحياء أو نتحول إلى دود تعاف رؤيته الأنظار .. لا نريد هذا ولا ذاك ولا تلك كما لا نرغب أن نراك مختبئـاً في حفرة تحت الأرض أو مكبلاً بـأغلال خلـف عربـة مصفحة مربوطاً بالأحبال تجر أذيال الخيبة وتعض أنياب الندم على أنك لم تنتهز الفرصة وتنسحب من الميدان .. صدقني في تلك اللحظة وأنت تلهث خلف عربة الأمريكان لن تجد منا من يبكي حالك أو يدعو لك بالصفح والغفران .

اللسعة واللدغة

في مواجهة طرق الحديد

تلسع النحلة ضحيتها من خلال اعتقادها ربمـا القـائم على الوهم أنها تدافع عن نفسها في مواجهة عدو تـربص بها لكن سرعان ما يزول أثر ألم اللسـعة بخـلاف لدغـة العقرب التى تحدث تخريباً وتهتكاً وقتلاً وتـدميراً لخلايـا الدم.

وإسرائيل تلجأ للوسيلة الأولى من خلال هدف محـدد.. أحداث أكبر مساحة من الألم في جسد العدو الفلسطيني دون أن تجهز عليه حتى لا يتربص بها ولتحقيق هـذا الهـدف تلجأ لخطوات محسوبة تتدرج في عنفها بـدءاً بالحصـار الذى تفرضه على منافذ معظم أنشـطة الحيـاة السياسـية فتصادر حق العمل بغلـق بواباتـه إلـى إسـرائيل أمـام الفلسطينيين ومروراً بوضع العراقيل لاعاقة حرية التنقـل داخل المدن الفلسطينية وأحيائها من خلال نقـاط تفتـيش انتقائية وبمنع دخول الأطعمة والأدوية وبعض مستلزمات الحياة الضرورية من المناطق الحدودية وبـرفض سـداد

الضرائب المحصلة من الشعب الفلسطيني لصالح السـلطة الشرعية وبإرسال الجرافات لتمهيـد وتوسـيع وترسـيم أراضي المسـتوطنات وانتهـاء بحجـب حـق الإنسـان الفلسطيني في الاحتجاج على الاحتلال بتظاهرات الحجارة فيطلق جنودها القذائف المطاطية والقنابل المسيلة للـدموع وتقبض وتحتجز عشوائياً عشرات الفلسطينيين وتسـوقهم قطعان أغنام إلى السجون .

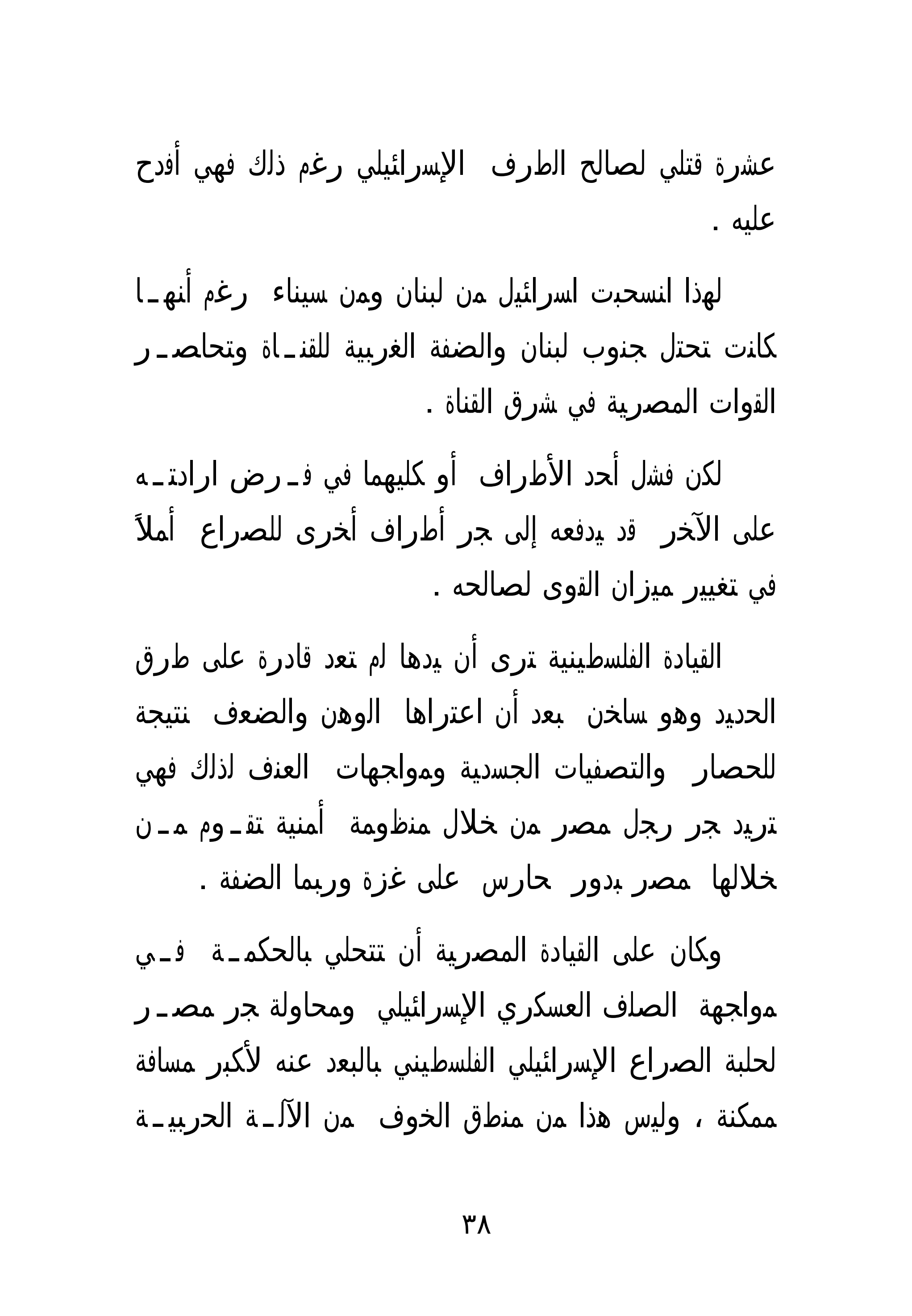
هذه اللسعة التى كانت تؤدي إلى تقلصـات وألـم فـي الجسد الفلسطيني بدأت بمرور الوقت تفقد تأثيرها بعد أن تحولت تلك اللسعات إلى شريان يمد الجسد بأسباب القـوة والمنعة – الضربة التى لا تقسم الظهر تقويـه – فاكتسـب الجسد مناعة وبالتالي تزايدت أعـداد المتمـردين علـى الاحتلال حتى الذى لم يجرب لسعة النحلة لم يعد يخشاها .. وكانت أحدى الأسباب في تفجر ينبوع الانتفاضة لدى جموع الفلسطينيين بجانب الإحساس بعدم منطقية الاحـتلال من خلال غموض الغاية وفرضية الإصرار على استمراره من قبل المحتل تلك الغاية القائمة على الظن والتخمـين .. أن إسرائيل معتدي عليها تدافع عن نفسها فـي مواجهـة

عدو يتربص بها .. مثلها مثل النحلة ورغم وقوعها في شرك هذا الظن والتخمين فهي مستمرة في لسعاتها لجسد الكيان الفلسطيني .

هذه صورة لسعة النحلة .. أما لدغة العقرب فمميتة .. القتل بالرصاص الحي عشوائياً لا تفرقه بين طفل وكهل .. رجل وإمرأة .. شخصية مرموقة ومواطن عادي .. الكل سواء رصاصة تخترق الرأس أو القلب .. عمليات هدم مباني المنشآت العامة أو منازل المواطنين وأخيراً ضرب مقومات البنية التحتية . لم يكن أمام الفلسطينيين لمواجهة لسعة النحلة سوى طرق الحديد وهو بارد بالتظاهرات والقاء الحجارة .. الهدف الحقيقي أن يسمع العالم كله من خلال صدى رنين الطرقات صرخات شعب محتل يرفض الاحتلال لعل الحديد يلين ويرحل المستعمر . لكن بعد تطوير اسرائيل لسياستها من لسعة النحلة إلى لدغة العقرب لم يعد أمام الفلسطينيين لمواجهة التصفية البشرية والشيئية سوى طرق الحديد على النار بعد أن استنفذت التظاهرات أهدافها بلفت أنظام المجتمع الدولي لقضية الاحتلال الإسرائيلي .. وبسبب عقم الحلول المقدمة لاحلال السلام

في المنطقة كان يجب الانتقال لمرحلة جديدة بل أصبح من الضروري تحمل الشعب الفلسطيني لمخاطر اعادة صياغة استراتيجية جديدة لمواجهة لدغة العقرب المميتـة وذلـك بطرق الحديد وهو ساخن الهدف النهـائي تشـكيل حمامـة السلام .

هذا الصدام الحاصل ليس بنزهة ثورية مسـلحة فـي أحراش كوبا أو نيكارجوا بل يحمـل مخـاطر فشـل كـلا الطرفين أو احداهما في السيطرة علـى تنـامي أحـداث العنف فتهب عواصف رعدية شعبية قد تكتسح أمامها بعض الأنظمة العربية الهشة في صورة انقلابات أو اغتيالات . مثل هذا الصدام لن ينتهي إلا بشعور كل من طرفي النزاع أنه وهو في قمة انتصاره على أرض الواقع لم يحقق هدفه .. عندئذ فقط سيكف يده .. وهو عندما يفعل ذلـك فعـن قناعة أن تقييم المكسب والخسارة في ميزانية العنف ليس مجدياً في حسابات السياسة ذلك أن العبـرة فـي حسـاب المكسب والخسارة ليس بالكم بتنسيب عدد قتلـى الجانـب الإسرائيلي للقتلى من الجانب الفلسطيني بل بتنظير فداحة الخسارة من طرف إلى آخر . قد تكون الخسارة واحد إلى



عشرة قتلي لصالح الطرف الإسرائيلي رغم ذلك فهي أفدح عليه .

لهذا انسحبت اسرائيل من لبنان ومن سيناء رغم أنها كانت تحتل جنوب لبنان والضفة الغربية للقناة وتحاصر القوات المصرية في شرق القناة .

لكن فشل أحد الأطراف أو كليهما في فرض ارادته على الآخر قد يدفعه إلى جر أطراف أخرى للصراع أملاً في تغيير ميزان القوى لصالحه .

القيادة الفلسطينية ترى أن يدها لم تعد قادرة على طرق الحديد وهو ساخن بعد أن اعتراها الوهن والضعف نتيجة للحصار والتصفيات الجسدية ومواجهات العنف لذلك فهي تريد جر رجل مصر من خلال منظومة أمنية تقوم من خلالها مصر بدور حارس على غزة وربما الضفة .

وكان على القيادة المصرية أن تتحلي بالحكمة في مواجهة الصلف العسكري الإسرائيلي ومحاولة جر مصر لحلبة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني بالبعد عنه لأكبر مسافة ممكنة ، وليس هذا من منطق الخوف من الآلة الحربية

الإسرائيلية بل من منطاق تهدئة حالة الاحتقان السياسـي حتى لا تصل إلى درجة الالتهاب ، فما يحـدث الآن علـى الساحة الفلسطينية من صدام بين استراتيجية لسعة النحلـة ولدغة العقرب ، وبين طرق الحديد علـى ألسـنة النـار.. سيؤدي حتماً إلى تشكيل حمام السلام ربما بمزيـد مـن التضحيات على الساحة الفلسطينية والإسرائيلية دون تدخل مصر في آليات هذا الصراع .

المرأة لاعب في فريق كرة رجالي

المرأة في المجتمع عصب الحياة .. هى الاستمرارية .. هي الأم والزوجة والأخـت والحبيبـة بـدونها تتـوارى المجتمعات خاف ضباب النسيان كرمتها الشرائع السـماوية وساوت بينها وبين الرجل " إنا خلقناكم مـن ذكـر وأنثـي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتتعارفوا" الخلية الأولي للمجتمعات تكونت من ذكر وأنثي .. مساواة مطلقة .. وجاء ميثـاق حقوق الإنسان ليؤكد هذا المعني بتقرير مبدأ المساواة بـين البشر بغض النظر عن الجنس والديانة والنـوع .. هـذا المبدأ أقرته معظم دساتير دول العالم باعتباره احدي دعائم حقوق الإنسان .. لم يكن نوع الجنين في يوم مـن الأيـام سبباً للتفرقة بين الرجل والأنثى لا فـي الحقـوق ولا فـي الواجبات ونتيجة لهذا شاركت المرأة الرجـل فـي كافـة الميادين .. التعليم .. العمل .. ارتقاء المناصب وارتفعـت وتيرة المساواة لتصبح المرأة قاضـية وسـفيرة وعضـو مجلس نيابي ووزيرة وفى القريب العاجل رئيسة وزراء.. وهى في اقتحامها لكل تلك الميادين تشارك الرجل وتعمـل

معه جنباً إلى جنب لكن ما يصدم المتأمل للحركة النسـائية المتنامية صمتها المطبق على حرمان المـرأة مشـاركة الرجل في الألعاب الرياضية ليس بتقرير حقها في ممارستها مثله بل باللعب معه في المستطيل الأخضر .. ومن المدهش حقاً أن هذا الحرمان لم يقتصر فقط على اللعب الجماعي بل انتقلت عدواه إلى الألعاب الفردية فحرمت المـرأة مـن الشراكة مع الرجل في كل ألعاب الكره الجماعية من قدم وطائرة ويد وسلة والفردية من تنس وسباحة ورفع أثقـال وألعاب قوى ومصارعة من خلال فصـل تعسـفي بـين الجنسين بحجة أن المرأة لا تستطيع مسايرة الرجل فـي ألعابه .. وفى الحقيقة هذا تجني وظلـم كبيـر للمـرأة لأن معيار النوع ذكر وأنثي ليس معياراً عـادلاً للتفاضـل بـل الكفاءة والموهبة تلك التى تحدد الأفضـل والأحسـن .. فكما تقدمت المرأة على الرجل في مجال الأعمال تستطيع أن تثبت تفوقها على مستوى الرياضـة .. فلمـاذا أذن لا تدخل المرأة مضمار ألعاب قوى الرجـال إذا كـان فـي استطاعتها تحطيم رقم قبولها .. وما ينطبق علـى ألعـاب القوى ينطبق علي السباحة والتنس والمصارعة .. فكثيـر

من الأرقام التى يحققها الرجال في تنافسهم تستطيع المـرأة تحطيمها فلماذا حرمان المرأة من اللعب بجوار الرجل في نفس المضمار إذا كانت تملك القدرة على منافسته.

إن هذه التفرقة الظالمة تؤدي بنا في النهاية إلى القـول بوجود فصل عنصري يخالف نصوص بعض التشـريعات الوضعية ومواثيق الأمم المتحدة التى تنص على المسـاواة بين الرجل والمرأة ليس في الحصول على الحقوق بل فـي أسلوب ممارستها ثم أو ليس غريباً في مدرسة تشارك فيـه الفتاة زميلها طاولة واحدة أن يتم الفصـل بينهمـا عنـوة عندما يمارسان لعبة جماعية وهذا ما يدفعنا لاعادة النظـر في كافة التشريعات واللوائح التى تمنع المرأة من مشـاركة الرجل في الألعاب الفردية والجماعية بحيث يصبح معيـار الكفاءة والموهبة والقدرة الجسدية والذهنية هى مفتاح شفرة حرمان المرأة من مشاركة الرجل كلاعب في نفس فريقه

ما أشد حاجة الإنسانية اليوم خاصة في عالمنا العربـي في ظل تدني مستوى اللعبات الجماعية والفردية الذكورية ما أحوجنا لمشاركة المرأة لتلعب مع الرجل جنباً إلى جنـب للارتقاء باللعبة واذكاء روح التنافس .. وهذا في الحقيقـة

يتفق مع مواثيق حقوق الإنسان التى تحرم التفرقـة بـين الناس بسبب النوع أو الجنس هى دعوة للمـرأة أن تقـتحم عرين الرجل وتتقدم لتشاركه في ميادين للرياضة قصـرها على نفسه يمارسها دون أن تجرؤ هـي أن تعبـر خطهـا الجيري لتنافسه وتتفوق عليه .

وهي دعوة لتاكيد حقيقة المسـاواة التـى تعقـد لهـا مؤتمرات تكرم فيها المرأة وتدق الطبول وتشـدو الأغـاني وتردد كلمات حفظناها أن المراة نصف المجتمـع .. فـإذا كانت حقا تمثل النصف فلماذا لا ننصـفها بتقريـر مبـدأ الاختلاط في كافة اللعبـات أسـوة بالمـدارس والأعمـال والجامعات كم أحلم بفريق كرة قدم نصفه أو علـى الأقـل ربعه من النساء أو فريق مشترك في لعبة كرة اليد أو السلة تمثل فيه المرأة تمثيلاً منصفاً .. أتمني أن أعيش هذا اليـوم الذى تحصل فيه المرأة على مستوى العالم كله على هـذا الحق المنسى أو المهمل .

وردة شاحبة

سيدى المسئول .. تحية وبعد

هذه وردة بيضاء شاحبة قطفتها بالأمس في طريقها للذبول أكتب على أوراقها رسالة في عجاله .. تتنسم عبيرها وتقرأ في تروى كلماتها وما بين السطور أملـي أن تتفـتح أمامك طاقة ترى من خلالها صورة باهتة الألوان رسـمتها ريشه السلطة بمداد الظلم .. الصورة قبيحة مزرية لكاتـب مصري صدر بشأنه قرار بالنفي من معترك الحياة واعتباره كأن لم يكن والعودة به لنقطة الصفر .. مـا قبـل ولادتـه بسنين .. قرار بالموت دون شهادة وفاة أو سـرادق عـزاء ولا حتى كلمات نعي في الأهرام .. حدث هـذا رغـم أن الكاتب يمارس كل طقوس الحياة من مأكل ومشرب وتنفس مثل أى حيوان مثل أية حشرة .. صاب قرار الموت فحواه ممنوع الاقتراب بالكلمة تصريحاً أو تلميحاً لعصر تدني فيه الإنسان قيمة وعملاً وقنن فيه أهل القدوة الفسـاد وتقلـنس الجهل العقول .. عصر صلبت فيه الحرية علـى صـليب الإدعاء بالديمقراطية الخرساء تلك التـى لا تتحـدث ولا

تصهل ولا تموء .. عصر انتشرت فيه الأمية السياسية فقاد الجاهل زمام الديمقراطية .. عصر تضخمت فيـه أعـداد السكان لحد الفوضى وتلوثت فيه مياه النيل لدرجـة الخطـر فشرب الناس مع المياه مخلفاتهم .. عصر تم فيه تدمير رقعة الأرض الزراعية بالمباني ففقدنا أحدى مصـادر مكونـات الحياة عصر واصل فيه الوعي غيبوبتـه بإدمـان الغيبيـة والقدرية .

نظام كهذا وأنت أحد المسئولين العظام عن هذا الانهيار الشامل الجامع في كافة مناحي الحياة يدفعنا للتساؤل عـن المسبب والأسباب لهذه الشيخوخة المبكـرة التـى أصـابت مجتمعنا بالترهل والانحلال والانحطاط وكيف الخروج من هذا المأزق الحرج ونحن نحقن الجسد المغيـب بمحاليـل تبقيه فقط على قيد الحياة ؟!

من حق هذا القلم الذى قصف أن ينبه ويحذر ويحـول دون أن يحاكم صاحبه أو يسجن أو يحقق معه.. مـن حقـه ذلك ومن حقه عليك أن تحميه حتى ولو طاب تنحيتـك وأن تتقبل نقده بصدر رحب إذا ما تعارض مع آرائك لسـبب بسيط جداً .. أنك لست صاحب القلم بل انتما مختلفان فهمـا

ومنهجاً وأسلوباً فأنت رجل علوي ترى الأمور من أعلـي بكلياتها وصاحب القلم كائن أرضي بسيط يـرى الأمـور بتفصيلاتها . أنت ملم بالاستراتيجيات .. الأمن والنظام العام والاستقرار وهو غارق في الجزئيات .. حياة البشر اليومية منغصاتها ومتاعبها أفراحها وأحزانها آمالها وطموحاتها .. رؤيتك العلوية قائمة على منظومة اللابديل فأنت مسـئول حتى الممات وصاحب القلم يـرى أن الحيـاة لا تسـتقيم إلا ببديهية التغيير وآلية تداول المسئولية وأن التغيير آت .. آت مهما بذل في تجميده من محاولات وصلت إلى حد تعليبه داخل صفائح صدئة من القوانين الاستثنائية ومـن الـذكاء التعامل مع حقائقـه المسـتقبلية بعيـون متفتحـة علـى المستجدات الخارجية وهدفها المتمثل في مسح الاسلام مـن على الخريطة الإنسانية وذلك باختصار الطريق إليـه لا بالالتفاف حوله بأسانيد وهمية .. اندمال جرح فلسطين الغائر النازف والخشية من سهام التطرف المشهرة ضـد الـوطن ورمال الفوضى التى تثيرها رياح التغييـر .. وبـدلاً مـن عرض فصول مسرحية ديمقراطية هزلية لا تضـحك بـل تبكي يجيد أدوارها الثلاثي .. ممثلون برعوا فـى أداء دور

الوصي الرشيد على جموع الشعب القصـر وهـم يقلبـون الجورب في كل مرة يظهرون فيها على مسرح السياسة .. ورغم أن الدور معاد ومقرر ومكرر وممل فهم مـا زالـوا يصرون على أدائه المرة تلو الأخرى داخل قاعات أعـدت للحرية .. في بطاقات انتخابية مـزورة .. علـى شاشـة التليفزيون وعلى ضفاف مهرجانات النفاق ورشوة العقـل الابداعي بجوائز الدولة .. مسرحية هزلية ملـت جمـوع الناس رؤيتها فأحداثها تتكرر .. اليوم مثل أمس وغداً قرين الاثنين يتم من خلالها عملية غير مشروعة لمخاخ يمحـي منها كل ما تلقنته عن الحرية وكرامة الإنسان .

من حق صاحب القلم أن يقول ذلك كما حاولـت فـي كتبي دون أن يصادر له رأي أو تتعقبه آلة القمع الأمنيـة الرهيبة بقطع رزقه أو سجنه أو مصادرة كتبه أو منـع نشرها .. من حقه هذا ومن حق مجتمعه عليه أن ينبه هذا المسئول لخطورة المآل بعد أن تمكن سرطان اللامبالاة من جسد المجتمع المريض .

من حق الكاتب أن يقول ذلك دون أن يفصل من عملـه على معاش ثلاثمائة جنيه المفروض أن تقيم أوده هو وعائلته .. ثلاثمائة جنيه تكسبها في الشهر بائعة فجل تعادل عشواية كبده بط فرنسي لصاحب الكرش الغليظ في نادي العاصـمة .. أو قيمة ورق تواليت لحمامه الأرابيسك

من حق الكاتب أيضاً أن يوجه لوزير الزراعـة تهمـة التآمر على مقدسات الـوطن والأرض الزراعيـة تلتهمهـا المباني ونفس التهمة لوزير الإسكان والنيل تلوثه المخلفـات ولوزير الثقافة والآثار يتم نهبها من لصوص الدولة عينـي عينك في وضح النهار .. جرائم تصل لحد الخيانة العظمي لأنها في حقيقتها تفريط في المقدسات من حقه أن يكتب عن ذلك ويطالب بتشكيل محكمة لمحـاكمتهم بتهمـة الخيانـة العظمي دون أن تدكه صواريخ أمن أرض . . فيحكم عليه بالسجن ويقضى خلف جدرانه أياماً أسود من قرن الخروب.

من حق صاحب القلم أن ينعش ذاكرة المسـئول وقـد أصابها آفة النسيان ويذكره بديمقراطية زمان مـا قبـل ٥٢ وأن يطلب منه اعادة ما انقطع بيننا وبينها من جسور خلال سنين ذاق فيها الشعب على يد العسكر صنوف من الهـوان

حتى لا تتكرر صورة العراق الحزين ورئيسه الهمام صدام ويصبح بلادنا ملجأ أيتام بينما المسئول ما زال يغط في نومه ملتحفاً باللامبالاه .

من حق الكاتب ان يحذر المسئول من مغبـة النسـيان طالباً منه أن يفوت الفرصة على قـوى العـدوان قبـل أن تفرض علينا جزية الديمقراطية بالجبر والإكراه وأن يسارع بالإصلاح السياسي باطلاق الحريات وليس باطلاق البالونات فالشارع بحسه المرهف يستطيع ان يفـرق بـين الصـدق والخديعة والحقيقة والوهم ويعرف أن حقيقة الديمقراطية لا يتأتي بمجرد تغيير مسميات من محاكم أمن دولة إلى محاكم عادية ولا بإلغاء أوامر عسكرية وعجبي أن يلغـى الأمـر العسكري بتجريم البناء على أرض زراعية بينما تسـتبقي أوامر بلهاء تعاقب على ارتداء الزى العسكري أوليس هـذا أكبر دليل على امتهان العقلية المصرية !!

هذا الشارع يعرف أن الديمقراطية لا تتحقق بانصاف الحلول أو على جرعات أو بإنشاء مجلس قـومي لحقـوق اللسان !! أو بترديد أقوال جوفاء أننا ماضون في الإصـلاح

منذ سنوات .. أن هي إلا نكات لكن لسـخافتها لا تضـحك بل هل من المبكيات.

من حق الكاتب أن يواجه المسئول بالحقيقة المـرة أن التغيير السياسي ليس مجرد تشوينات كلاميه عـن الحريـة والديمقراطية والاصلاح بل هـو حـرث للتربـة وتنقيـة الحشائش الضارة ولن يتم هذا إلا بالغاء قوانين الطـوارئ ودستور الفواحش هذا الذى حول الشعب إلى حريم السلطان وأله الحاكم على الإنسان بما يملك عليه مـن حـق المـوت والحياة .. بدون هذه الفلسفة في التغيير فنحن إلـى زوال .. مصيرنا الغرق وهذا المسئول معنا وقتها لن يستطيع القـول سآوي إلى جبل يعصمني من الماء.

من حق الكاتب أن يقـول ذلـك دون أن يطولـه رذاذ الاتهام بأنه خارج عن النظام العـام والسـلام الاجتمـاعي ومنظومة الأديان..

من حق صاحب القلم تحذير المسئول بأنه بديل اهمـال الاصلاح أن نتحول إلى نعال أو إلى دواسات تداس بالأقـدام وتسود فوضى عارمة ينفلت فيها الزمام وتقطـف رقـاب ويركب الغوغ موجة الإرهاب وتعلـو رأيـه الاضـطراب

وتجري الدماء أنهار فهل هذا ما يريده المسئول أى مسئول أم أنه يخاف على مكاسبه في ظل نظام انعدمت فيه الرقابـة على المال والأعراض .

من حق صاحب القلم أن يطالب المسئول إذا أراد البقاء أن يحرث الأرض بسلاح الحريات .. لا يسأله الرحيلا بل الاستمرار فقط لمدة سنتان بالتمام والكمال فإذا انجز مهمته فشكراً واذا فشل.. عفوا هو الحساب وتوقيع أشد العقاب . .

لوحة سيريالية للشعوب العربية

حديقة منزلي واسعة .. شاسعة تحرسها ثلاثة كلاب يافعة

أرعاها وأحنو عليها وفى أوقات فراغي ألاعبها وألاطفها.. لم أتركها أبداً جائعة

نشأت بيننا صداقة بمذاق خاص نبعها الولاء والمساواة .. الثلاثة عندي سواء

أنسال أم واحدة على التوالي .. ثلاثة أجيال تمثل ثلاثة مراحل عمرية من الزمان

مختلفوا الطباع .. الكبير مسالم والوسطي متمردة أما الثالث فصغير حالم

يتلقى من الوسطي الضربات دون شكوى أو تبرم أو حتى أنات

ورغم الاختلاف إلا أن خيطاً واحداً يجمع الشتات ..

سبحة رغم اختلاف ألوان حباتها فهي متماثلة الصفات.

قهر واستعباد واستذلال ودعوة لانتباذ مباهج الحياة

وتمضي السنون والأعوام دون تغيير أو تبديل تتقمص أيامها الرتابة

فجأة اختفى "بج" عن الحديقة دون اخطار أو حتى كلمة اعتذار

ساورني القلق حول مصيره وخشيت أن يكون جاري قد نفذ تهديده

ودس له السم عقابا له على اتلاف برسيمه .

تملكني الإحباط والرجل يحلف بأغلظ الأيمان انه برئ من دم الحيوان

بثثت العيون في الأرجاء علني أعثر على الحقيقة النائمة في طي المجهول

استربت في أمره وهو يردد مرات ومرات صيحته العجوبا

ولما أفصح عن الخبر قفزت إلى أعلى فقد حل لغزاً صعوباً

"بج " في صحبه آنسة جميلة تقطره العسل نقاطاً .. نقاطاً .

عاد بج بعد أن قضى وتره اشعثاً أغبراً وقد تحول لون شعره إلى رماد

يشغي بالحشرات .. براغيت وقمل وقراد .

مصاباً بجرح غائر في رقبته .. عضه كلاب تنافس معه على عرش الفؤاد

وبعد أن طهرت جروحه واستحم وأطعمته عاتبته في نبرة افتقدت الوداد

كيف تفعل بي ذلك وتتركني نهباً للقلق والشك والحيرة

ولم تفكر في استئذان صاحبك حتى ولو كان الأمر متعلقاً باشباع غريزتك

رد على بكلام لا يسمع ولا يقال ان غريزته أقوى من المحال .

ولأن عذره أقبح من ذنبه فقد قررت ربطه في جذع شجرة بطوق وسلسلة

مرت شهور على هذه الحال حتى أصابه الضعف والهزال

وتعود على حياة الكسل والرقاد .

وبمرور الوقت انطفأ بريق عينيه بعد أن تحول لكتلة من اللحم والعظام

أما "ميديا" الوسطى فقد كانت تمارس حياتها في حرية واطمئنان

تلاعب أحياناً نفسها وأحياناً أخرى "سمول" آخر العنقود

وكثيراً ما كانت تحاول استفزاز بج المربوط إلا أنه كان يقابل استفزازها ببرود.

دخل كشاف النور من باب الحديقة لقراءة العداد .

وقبل أن يتبين ما يحدق به أخطار .

كانت ميديا في انتظاره .. فاغرة فاها يقطر لعاباً تهاجمه دون انذار .

هرول الرجل يختفي خلف جذع الأشجار إلا أنها كانت له بالمرصاد

ودفع الرجل ثمناً لضريبة الشفاء واحد وعشرون حقنة في بطنه بلا اعتراض

أمام خطأ "ميديا" الجسيم قمت بربطها هى الأخري في طوق وسلسلة

عيناها تحادثني وأنا أربطها .. كيف تعاقب من يدافع عنك ضد الغرباء

أنت ملوم لأنك لم تعلمني أن أفرق بين الدخيل .. والأصدقاء

فما فعلت إلا ما أملاه على واجب الولاء.

لم آبه لحديثها الصامت ولا لدموعها أو عوائها وأنا أسرد لها الأسباب

قلت لها لقد تجاوزت حد المسموح لذا حق عليك سرمدي العقاب

مرت شهور .. وهي مربوطة بالسلسلة .. ذبل عودها وفقدت شهيتها للحياة

بعد أن تحولت إلى مجرد ماعون يمتلأ بالطعام ليفرز في اليوم التالي نفايات

الوحيد الذى ظل حراً "سمول" الصغير .. في الحديقة يصول ويجول

كنت سعيدا به .. ألاطفه وألاعبه .

يحسده أخوته على ما لا يملكون منها أقل القليل

على هذه الحال إلى أن أتلف شجرة نادرة تكلفت من أجل انباتها الجهد والمال

غضبت غضبا جامحاً وقررت عقابه هو الآخر بربطه بالأحبال

ومرت الأيام والكلاب الثلاثة مربوطة تأكل وتشرب وتنام وقد أصابها الكسل

مستسلمة خادعة .. ذليلة .. كسيحة .

تشيح عني حتى الذيل منها لا يهتز عرفاناً

بما أقدمه لها لتبقى على قيد الحياة .. حتى ولو كانت مصفودة بالاغلال

بدأ القلق يساورني في الأمر ما يريب وما يفتح باب الظنون

فقد تحولت الكلاب الثلاثة إلى مناظر خاوية من المضمون

فقدت فلسفة الحياة .. فما كانت الحياة أكلاً وشرباً وملئ بطون

تحول نباحها إلى أنات ألم وهي في الأسر تعوى كالمجنون

أمامي لوحه سريالية لثلاثة كلاب مقيدة بسلاسل مسلوبة الحرية

أعاتب نفسي في قسوة ممزوجة بالأسي انني أسرت في حديقتي الحرية

في صباح يوم مشرق أطلقت الكلاب من قيودها لتنعم بالحرية ..

وندمت على ربطها هذه السنين الطوال

فما أشبه اليوم بالبارحة وما أشبه لوحة الكلاب السريالية بالشعوب العربية .

الصفر الرياضي

على الطريقة الديمقراطية

سؤال لحوح يدور حـول مسـئولية لجنـة المونـديال المصرية عن الصفر الخرافي وما أحدثه من صـدمة علـى مستويين .. المحلي والعالمي .. وقبلها بأسابيع منيت الساحة الرياضية بفاجعة خروج ثلاثة فرق قممية أمام رواندا وتونس والسودان .. وتساءل الشارع فـي دهشـة عـن المسـبب والأسباب !! وهل لهذا صلة بأسـلوب عمـل اللجنـة أو التدقيق في اختيار أعضائها أو بعوامل خارجية لا إرادية .. وتعددت الآراء والتبس الأمر على كثيرين لكن الحقيقـة وراء هذه الانتكاسة تم حجب شبحها بستارة من الأكاذيـب والمبررات ربما خوفاً .. ربما جزعاً .. ربمـا لأن العـلاج أكبر بكثير جداً من مجرد اخفائه .. أكبر من وزارة للشباب يرأسها وزير يريدونه كبش فداء لاخطاء عصر بأكمله وكان .. حتى لو كانت اللجنة مشكلة برئاسة كوفي أنان وأعضائها

بوش وشرويد وبلير وشراك ما كانت ستحصل على صوت واحد .

أن فشل اللجنة في الحصول على صوت واحـد لـيس مرده تقصير منها أو عجز في مفردات النجاح بل هو نتاج مناخ عام يحمل أصـفاراً عـدة فـي كافـة المجـالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فضلاً عن التلوث المائي والزراعي والسمعي وتهافت البنية التحتية مجمـوع هـذه الأصفار والذى يساوي في النهاية صفراً هو الذى دفع لجنـة الفيفا إلى اسقاط مصر من كل حساباتها فقد وعت تماماً أن الرياضة لا تنفصل عن المجتمع بل هى جزء لا يتجزأ منـه لذاك نجحت جنوب أفريقيا في حصـد ١٤ صـوت مقابـل صفر واحد لمصر.. نسبة وتناسـب بـين الدرجـة وحالـة المجتمع .

ولم يكن فشل لجنة المونديال المصـرية راجعـاً إلـى أسلوب عرض مرآة الملف الرياضي من خـلال تـاريخ مصر الفرعوني وتغاضيها عن الحاضر .. فأى حاضر هذا الذى يمكن عرضه وهو يعاني من كل الآفـات السياسـية والاقتصادية والاجتماعية التى استطاعت لجنة الفيفا وحدها

رصدها جيداً فكيف يتم اختيار بلد ما زال نظامه مترددا فـي التوغل داخل واحة الديمقراطية - رجل ورا والثانية قدام – أو شعب فقير ما زال يخضع لنظام طوارئ قاسى يتكـدس في الذهاب والإياب داخل أوتوبيسـات هالكـة مزدحمـة وتاكسيات عفي عليها الزمن وميكروباصات يحشـر فيهـا الناس كيوم القيامة حشراً وكثير وكثير .

في النهاية نبحث عن شماعة نضع عليها كل أخطاءنـا .. أخطاء مجتمع بأكمله فنجدها في وزير مغلوب على أمره لا يملك من أمر اصلاح بلاده سوى ريشة ألوان يحاول بهـا اضفاء بعض البهجة على لوحة مجللة بالسواد .

لكن ما صلة هذا الكلام بصفر المونديال ؟! هى جـزء من كل فتخلف المجتمع المصري أحد الأسباب التي دفعـت لجنة الفيفا لإبعاد مصر عن المنافسة .. لكن هل لهذا صـلة بالديمقراطية ..

ان قاعدة الانتخاب الطبيعـي بـين الكائنـات تـؤدي بالضرورة أن تكون الحياة للأفضل .. الكـل علـى قـدم المساواة الاختلاف فقط في حقوق وواجبات المركز الـذى يشغله الفرد .. لكن هل مجتمعنا يطبـق منظومـة الحيـاة

للأفضل بشفافية مطلقة ؟! المتأمل لشرائح المجتمـع يجـده عجباً لقد أصابته الشيخوخة المبكرة نتيجة إخلالـه بقاعـدة المساواة التى تفرز الأفضل .. الأحسن .. الأقـوى ليحـل محلها الأضعف والأسوء وما نراه على الساحة المحلية من جيل هش مكمم ضعيف هو حصاد قلب المثلـث الإنسـاني بتحول قمته إلى قاعدة مهتزة. آفة انتقلـت عـدواها إلـى ملاعب الكرة المصرية نتيجة غياب الديمقراطية والشفافية ولأول مرة نرى ظاهرة توريث لعبة كرة القدم فكـان أن تحولت الموهبة إلى مهنة لها عائد مجزي مثل السـمكري والميكانيكي وبائع البطاطا !! الأبن يـرث أبيـه والشـقيق الأصغر شقيقه بل وصل التوريـث إلـى حـد التخصـص فالمهاجم يرث صفة ابيه المعتزل علـى خريطـة الملعـب والأبن يرث أبيه في حراسة المرمي والمدافع في مركـز أخيه .. الأمثلة صارخة زاعقة على مستوى كافة الأنديـة المصرية بلا استثناء حتى تحولت ملاعبهـا إلـى صـورة مصغرة للحادث في المجتمع من ظاهرة تـوارث الأبنـاء والأخوة والأحفاد للمناصب المرموقة في القضاء والخارجية والشرطة والإعلام والنتيجة الحتمية هـدم قاعـدة الحيـاة

للأفضل من خلال الوساطة والمحسوبية التى تغلغلت فـي نسيج المجتمع بصورة حادة وبالتالي ساءت معايير الجودة في الملاعب من خلال تقييم مطاطى غير مسـئول يطـرد الموهبة ويحطم مجاديف سفينة الكفـاءة ودقـة المسـاواة وتكافؤ الفرص .

والسؤال وهل هذا هو السبب في أزمة الكرة المصـرية وتدني مستواها بهزيمة ثلاثة نوادي عريقة خلال ساعات من فرق متواضعة المستوى وبتعادل الفريق القومي مع بنـين فريق آكلي النمل رغم أن ثقافة المدربين الأربعة الأجانـب تمنعهم من الانسياق وراء أشعرة المحسوبية والوسـاطة .. هذا صحيح لكن الذى لا يغيب عن الراصـد الصـبور أن المدرب الأجنبي مقيد في اختيـاره للفريـق بـالمعروض أمامه.

وعليه أن يفاضل بين مفردات بضاعة معظمها مفسودة ولأن مهمته تنحصر في اختيار أفضل المعروض ولأن هـذا المعروض دون المستوي فهو يقع بالضرورة فـي خطيئـة سوء الأختيار .

لكن ما صلة كل هذا بالديمقراطيـة والشـفافية .. أن الديمقراطية وما يتصل بها من حرية الاختيار تفرز دائمـاً الأفضل من خلال تطبيق قاعدة الانتخاب الطبيعي وغيـاب الديمقراطية يؤثر بالسلب في حسن الاختيار ويؤدي حتمـاً إلى انحسار الجودة في كافة المجالات الاجتماعية سواء كان الأفراز علمياً أو تثقيفياً أو رياضياً وهذا هو التأثير المباشـر لغياب الديمقراطية فغيابها يؤدي إلى انتكاس المجتمع علـى كافة المستويات .. اقتصادية واجتماعية وثقافية وصـحية .. ثم نسأل بعد هذا في دهشة عـن سـبب ضـعف اللاعـب المصري وكثرة أصاباته والإجابـة معروفـة .. فاللاعـب المصري جزء من نبض الشارع وبالتالي فإن مشاكل هـذا الشارع التى ترتبط بالديمقراطية وجـوداً وعـدماً لايمكـن القضاء عليها إلا بإحلال الديمقراطية .. فلكل مشـكلة دور محوري في تواجد المشكلة الأخرى وهشاشة العظام وقصر القامة وسوء التغذية والتلوث ونقـص المناعـة وتزايـد السكان وانهيار الصحة العامة تؤدي كلهـا لفـرد ضـعيف متآكل البنيان متدني ابداعياً وعلمياً وجسدياً ورياضياً وهذا بدوره يؤدى إلى خلل في الركائز الأساسـية للمجتمـع .

بحيث يمكن القول في النهاية أن اصلاح المنظومة الرياضية تأتي أولاً من اصلاح الفرد والفرد لا يمكن اصلاحه إلا من خلال نظام ديمقراطي .. وهذا هو السبب الغير مباشر في اخفاقاتنا في مونديال ٢٠١٠ وحصولنا على الصـفر وفـى هزائمنا المتكررة أمام فرق متواضعة بل وأستطيع أن أجزم أنه بدون الإصلاح الديمقراطي فنحن نحرث في البحـر لا تارديللي ولا طلايله يستطيعون مع غياب الديمقراطية علاج آثام غيبة الديمقراطية لينافس الفريق القومي في بطولة كأس العالم ..أو افريقيا أو حتى فريق حوكشه !! هو حلم أبليس في الجنة إلا إذا دمقرطنا أنفسنا.

قل للزمان أرجع يا زمان

أحزننى ما وصلنا إليه من مهانة واذلال وسوء حال .. عز علي أن يكون موقفنا في ذيل الأمم تخلفاً وامعاناً في جلد الذات وتكرار الدخول في المطبات من فقر وجهل وأمية وانعدام وزن ومرض وركوب الأمم ظهورنا .. لذلك قررت أن استحضر الفاروق عمر ليحكم عالمنا الغارق في الجهالة .. بعد حديث شيق معه مثير شرحت من خلاله الأسباب لدعوته استقل الفاروق شعاع ضوء آت من السماء .. فور أن هبط إلى الأرض وقبل أن يتبين معالمها أخذته على غرة إلى سيارتي .. بعدها إلى شقتي الكائنة بعمارة على ضفاف النيل .. فور دخوله الشقة سألته :

- منذ متى لم تستحم ؟!

- منذ موتي !!

- تعالي اذن معي .

صحبته إلى حمام الشقة .. سوبر لـ وكس بالسـيراميك والبانيو والبيديه في انتظاره ثلاثا غيد حسان شـقراوات " جواري" خلعن عنه جبته الخضراء وجلبابه الباهت الألـوان .. أخذته الأيادي ناعمة الملمس إلى البانيو .. استحم بالماء القراح والشامبو وتنشق جسده بالعطر الفواح .. بعد أن أنهي حمامه أطل على بوجهه الحليق وجسده الشاهق ملفوفاً فـي روب حمام قرمزي اللون .. الإطلالة من قدسيتها تسجد لها الملائكة الأطهار .. من عظمتها تزلزل الأرض من هولهـا تنشق ويخرج من باطنها السنة نار .. تردد الفـاروق وأنـا أعرض عليه ارتداء بزة اشتريتها من بلاد الأمريكان بألف دولار .. ذاب تردده بعد أن اقتنع أن هذا هو لبـاس حكـام العصر لكنه أصر على أن يتمنطق بسيفه البتار وعلى التـو بدأنا رحلتنا في القاهرة سيراً على الأقدام من الزمالك إلـى شارع فؤاد وانتهينـا إلـى الحسـين .. مـدهوش برؤيـة المركبات وفترينات المحلات والناس وحركة الشارع التى لا تهدأ والزحام .. لفت الأنظار بجسـده الشـاهق والسـيف والكرباج في يده يهش به حتى يفض مـن أمامـه الزحـام جولة طويلة استغرقت منا ساعات اشترينا خلالهـا أكـوام

المشتروات .. كدسناها في سيارة نصف نقل عدنا إلى البيت والسعادة تغمره .. ونشوة الفرحة تعبق دواخله وهو يقلب في البضاعة يهمس هذه " لعلي " وهـذه " لعثمـان " وتلـك " للصديق " وهذه لأسامة .

استيقظ صباح اليوم التالي رأيته يلف ويدور داخـل الشقة باحثاً .. منقباً صاح بعدها غاضباً :

- اين الماعز .. اين الخراف ؟! أريد لبناً .

- أسرعت وفتحت الثلاجة .. التقطت زجاجة لبن قدمتها له فور أن رآها انبسطت أساريره .. سـألني فـي استغراب :

- كيف وبهذه السرعة ؟

أصر على فتح الثلاجة .. تأملها من الداخل .. ابتسـم .. همس قائلاً :

- مثل الجنة باشارة واحدة يأتيك ما تريده .

لم نضيع وقتنا وأنا أصحبه لزيارة معـالم القـاهرة .. بدأنا بالأهرامات وقف أمامها مذهولا .. همهم .

- لم أتصور أبداً أنها بهذه الضخامة . .

سكت .. عاد يسألني

- لماذا ؟!

- مقبرة .

- لمن ؟

- لملوك مصر القديمة .

- سفه .

- يا سيدي أمير المؤمنين لكل مقدساته أنـتم الكعبـة والمصريون الأهرامات .

غضب غضباً شديداً ، وفى حدة :

- أتساوي بين بيت ا وبيوت الكفرة .

- يا فاروق كل ما أقصده أن أبعد شبهة السفه عنا .

بعد زيارة الأهرامات بدأنا جولة في رحاب الآثـار .. مراكب الشمس .. مقابر الفراعنة .. توقف كثيراً أمام خوفو سألني ضاحكاً :

- هل تقبلوه كما نفعل نحن مع الحجر الأسعد .

وبعد أن زار معالم القاهرة .. حديقة الحيوان والأسماك والقلعة والمتحف المصري وجامع عمـرو بـن العـاص .. مندهشاً وأنا أشرح له تفاصيل ما يراه. بعد هـذه الزيـارة صحبته في رحلة نيلية داخل مركب كان سعيداً وهو يحفـن الماء ويرشه مثل طفل صغير .. برنامج حافل من الزيارات استغرق منا أياماً طلبت منه بعدها أن يرافقني لحضور احدى جلسات مجلس الشعب .. جلسنا معاً نستمع للنقـاش الـدائر داخل قاعة المجلس .. كان يسألني عـن صـفة المتحـدثين ومهمتهم ولماذا يتناقشون ؟! الأسئلة دقيقة وكنت أرد عليـه في صدق وأمانة .. هو لا يفهـم مغـزى اجابـاتي عـن الديمقراطية والحرية .. يريد أن يفهم .. حاولـت تقريـب المعنى له بالحديث عن الشورى .. استكثر أن يضم مجلس للشورى كل هذا العدد الضخم من الناصحين وهـو يعلـق قائلاً " "واحد .. اثنين بالكثير عشرة " بعدها اطلـق قذيفتـه المدوية .. " مع كل هؤلاء ماذا يفعل الحاكم .. يقشر بصل " ضحكت وأنا انظر إليه في دهشة :

سألني وأنا أصحبه لأحد البنوك .. انبهر وأنا ارد علـى اسئلته العويصة الصعبة .. حول البنك ومهمته والمتعاملين معه سألني :

- هو بيت المال اذن .

شرحت له الفرق بين بيت المال بالمعنى القديم والـذي يمثله الآن وزارة المالية ومؤسساتها وبين البنوك التى يضع فيها الأفراد مدخراتهم مقابل فائدة إلا انه انهي زيارته قائلاً :

- حرام الربا !!

رافقني إلى دار الأوبرا هناك تعرض فرقة البولشـوي الروسية " كسارة البندق " بعد أن استمتع برؤية العرض سأل في حب استطلاع :

- هؤلاء هم المشخصاتية .. لعنة ا عليهم .

طلب مني أن يزور أحد السجون لم أكـذب خبـراً .. صحبته إلى سجن طره اجتمع ببعض السجناء سأل أحدهم :

- جريمتك ؟

اجابة :

- السرقة

أمسك بذارعه قال ساخراً :

- انها سليمة لم تقطع .

سأل سجين آخر عن جريمته أجاب :

- زني .

رد فى حده :

- ولم تقتل !!

سأل ثالث يرتدي بدلة حمراء

- وأنت ؟

- إعدام لتجارة المخدرات

- شارب الخمر هو الأحق لهذه العقوبة

خرج الفاروق من السجن غاضباً قررت أن أخفف عنه عبء هذا الغضب صحبته إلى فندق خمسة نجوم .. وأمـام الحمام وقف مشدوهاً .. تسمرت قدماه .. نساء شبه عرايا بالمايوهات البكيني يسبحن .. شد يدي كـدت أتهـاوى .. صاح وهو يشير إلى احداهن :

- هذه الجارية ما ثمنها ؟

احتوتني الدهشة .. سألته في استغراب :

- أى جارية يا مولاي ؟

- هذه الشقراء التى تغطي رأسها بطاقية حمراء

فهمت مراده .. رددت عليه في حذر :

- هي ليست جارية .. بل امرأة حرة

- أمرأة حرة وتتعري هذا هو الفسق بعينه

خرج لا يلوي على شئ وهو يدمدم :

- ابعدني عن هذا المكان الموبوء فوراً

بعد شد وجذب اقتنع بمرافقتي للسينما .. حجزت بنواراً .. السينما تعرض فيلما أجنبياً عن فرسان العصور الوسطي .. العرض شد انتباهه حروب بالسيف وهـدم للحصـون بالمنجانيق وفروسية وشجاعة .. وقف على أحد المقاعد .. أخذ يصرخ .. ملوحاً بالسيف :

- ا أكبر .. ا أكبر ... اقتلوا الكفره .. اقتلوا الكفره .

بعد انتهاء العرض أصر أن يرى فيلما آخر .. الفـيلم يعرض قصة حب رومانسي تابع الأمير الفيلم المثير بشغف واهتمام فجأة صرخ :

- يا للهول انه يقبلها .. أصحاب الصور كلهم في النار !!

خرج لا يلوي على شئ .. عند باب السينما .. شـهر سيفه ضدي وصاح مهدداً متوعداً:

- في المرة القادمة سأقطع رقبتك

في الحقيقة انتابني رعب شديد " وحتى أهدئ ثائرتـه .. قمت بعرض فيلم فيديو التقطناه له منذ بداية رحلته معـي .. قفز إلى أعلي وهو يتابع الفيلم حتى خبط رأسه السـقف سحب سيفه من غمده .. شهره وهو يصرخ :

- هذا الشيطان !!

هبط بالسيف المسلول على التليفزيون حوله لحطاماً . بعد أن هدأ حاولت أن أشرح له شرحاً وافياً عن الاختراعات الحديثة التليفزيون والثلاجة والكهرباء دون جـدوى فقـد اغلاق عني عقله تماماً ولم أجد سبيلاً لاقناعه سوي حـديث التليفون أدرت رقماً .. أعطيته السماعة وأنا أحثه قائلاً :

- تكلم !!

فور أن أمسك سماعة التليفون ورفعها على أذنه جـاءه صوت نسائي ناعم :

- أهلاً بالفاروق .

شجعته قائلا :

- حدثها .. حدثها .

سألني من جديد

- أحدثها كيف !

- بآلة الزمن التى تضعها على أذنك .

- قبلاً أريد أن أعرف من هي .

- أسألها .

سألها قائلاً

- من أنت ؟

- أنا حفصة !!

اسقط في يده قذف بسماعة التليفون صرخ :

- شيطان .. شيطان .

ضمتنا جلسة طويلة أكلنا فيها وشربنا واستمتعنا بغنـاء شجي بدأ يسألني بذكاء عن كل ما رآه بـدءاً بالكهربـاء والتليفزيون والكمبيوتر والثلاجة والراديو ومروراً بالسيارة والطائرة وانتهاءاً بناطحات السحاب الشاهقة .. وهـو لا

يفهم لا يريد أن يفهم أن هذه الاختراعات من صنع الإنسـان وليست كما يتصور شياطين .. سألته فيما أتى مـن أجلـه غرض الزيارة أن يحكم العالم أجابني في صدق :

- إذا كنت لم استوعب ما رأيته فكيف أحكم ما أجهلـه .. أن ما بين الإسلام وبينكم هوة واسـعة فجـوة عميقة لا يمكن ملئ فراغها باطنـان الكلمـات .. ستحترق إن عاجلاً أو آجلاً وسينهار بنيانها .. يـا صديقي لقد أصبح الاسلام تاريخاً

قال ذلك وطلب مني العودة وأنا أتصايح :

- لا .. لا .. لا تذهب.. فماذا نفعل بدونك .. فلتبقـي معنا تحكم بالعدل والسيف والسـوط .. لا ... لا لا تذهب .

استيقظت من نومي على هزات يد زوجتـي وكلماتهـا اصحي .. اصحي وتعقيبها بعد استيقاظي " أكيد كابوس " .

بدأت أفكر فيما حلمت به هل أصبح الإسلام تاريخاً .. لا شك أنه احدى الحضارات التى أثرت البشرية في وقـت من الأوقات مثلها مثل حضارة الرومان والإغريق ومصـر

القديمة والمسيحية كلها لها دور ساهمت به في تطور الحضارة الإنسانية .. لكنها في النهاية تاريخ لا يمكن استرجاعه ليحكم البشر في القرن الواحد وعشرين ذلك لأن لكل حضارة أدواتها تنهض عليها فإذا افتقدت تلك الأدوات فستتغير صورتها تماماً بل والاسم ايضاً .. وأدوات الحضارة فكر وخريطة .. وكل حضارة تختلف في الفكر والخريطة .. لكن هل يمكن أعادة تبويب الحضارة الإسلامية وتحديثها لتطبيقها .. أيضاً هذا مستحيل لأنه لابد من وجود توئمة ما بين الفكر والأدوات والواقع الذى تعيشه المجتمعات.. ولأن الواقع مخالف تماماً للفكر الإسلامي وأدواته .. فان تطبيقه على خريطة الواقع يحدث ردة حضارية. حضارة الإسلام الممتدة على توظيف فكرة الدين لتطوير الحياة .. والحياة الآن بقيمها الإنسانية الحضارية لا تستوعب في تطبيعها فكرة الدين .. فالحياة حرية واختيار والدين اجبار وخريطة الواقع التى لا تكذب ولا تتزين تقول أن قطع يد السارق ورجم المرأة وجلد الرجل نظام جزائي بدائي والعبيد والجواري كسلعة تباع وتشتري نظام سفيه أصبح في ذمة التاريخ وزواج الرجل

بأربعة توقفت قاطرته في محطة القرن الواحـد وعشـرين وافتقاد المساواة بين الرجل والمرأة وإجبارها على الدخول في طاعة زوجها اغتصـاب تغلفـه الشـرعية الدينيـة .. واسترقاق المرأة في الحروب واتهامهـا بانتقـاص العقـل والدين وتحجيبها وتحجيمها في الميراث والشهادة ومنعهـا من مباشرة حقوقها السياسية وطلاقها بارادة زوجها المنفردة واباحة ضربة لها واتخاذها سراري أو ما ملكت الإيمـان كلها حبات متساقطة من مسبحة التاريخ . وتحريم الصـور والتماثيل وتكفير غير المسلمين وفـرض الجزيـة علـيهم وحكم الفرد الاستبدادي وتوظيف الدين لإدارة شـأن البشـر السياسي والاقتصادي والاجتماعي كلها أمور تمثل حقبـة في التاريخ الإنساني ذهبت بلا رجعة .. ولابد من الإحلال والتغيير وليس التجديد كما يحاول البعض التـرويج لمذهبـه وإلا كان مصيرنا مثل ديناصور فقد القدرة على التطور .. حقبة حاكمية الدين التى تلفظ الآن أنفاسها فـي السـعودية وإيران لن يطول الوقت حتى تزهق روحها إما بواسـطة شعوبها أو بتدخل خارجي يقتلعها مـن جـذورها .. وفـى مصر علينا أن نتجه بكل ثقلنا لاستكمال خطـوات بنـاء

المجتمع المدني وذلك بإلغاء رقابة الأزهر التعسفية على أى عمل ابداعي حتى ولو وصل الأمر بنا إلـى تحجـيم دور الأزهر بتحويله لمرجعية دينية لا صلة لها بالمجتمع المدني فتقتصر مهمته فقط على الأمور الدينية وكـذا مـا نسـميه بوزارة الأوقاف بتحويلها إلى إدارة عامة للوقـف ينصـب اختصاصها على إدارة شئون الوقف. كل هذا حتى يـتمكن المجتمع المدني من بسط سيطرته على الساحة الاجتماعيـة يواكب هذا اتخاذ كافة اجراءات التحول المدني بالغاء كـل مظاهر احتفالات الطرق الصوفية وعدم التوسع في اقامة دور عباده جديدة وقصر دعوى الوعاظ في المساجد علـى مشاكل المجتمع واستبدال قانون الأحوال الشخصية بقـانون مدني تستحدث نصوصه الغاء تعـدد الزوجـات وتحـريم الطلاق الا بحكم القاضي وتقرير مبـدا مسـاواة المـرأة بالرجل في الميراث والشهادة وتقلدها كافة المناصب بـدءاً بالقضاء والمأذونية والوعظ وانتهاء بملاعـب كـرة القـدم والسلة وألعاب القوى لتشارك الرجل جنباً إلى جنـب فـي نفس الفريق .. بهذا فقط نستطيع ان نتغلب على نقطة ضعفنا

وصدق الفاروق وهو يحدثني في مرارة أن "الإسلام بات تاريخاً ".

زَغَب الإرهاب والأسباب

بلا لف أو دوران ودون الخطو في الطرق المأهولة المعتادة ونحن نستقصي عن أسباب الإرهاب بعد أن لف العالم بحزامه الناسف نستطيع القول أن اثنين اشتركا بقوة في تبويض الإرهاب داخل رحم الإسلام المتوتر الغاضب اثنان لا يختلف حول مسئوليتهما اثنان أمريكا والأنظمة العربية على اختلاف صفوفها رئاسية أو ملكية من خلال التخريب والتجريد .. تخريب حرية شعوبها وتجريدها من ارادتها لتتحول إلى دود لا يملك من أمره شيئاً سوى حركة دودية لإدخال الطعام واخراجه .. وكان لأمريكا دور أساسي في تمام التحول بالمساهمة في تثبيت دعائم تلك الأنظمة الشمولية وتغطية عريها الفاضح بمسقوف من الدعم المالي والسياسي والمخابرتي يحميها من رذاذ غضبة الشعوب .. هذا الدعم ساعد بدون شك على وصول المجتمعات المسلمة إلى حالة من الهشاشة والضعف لم

تجدي وسيلة للخروج منها سوى تسلق حبل التطرف الديني إلى الإرهاب .

وبين ليلة وضحاها فوجئت أمريكا في سبتمبر الحادي عشر بالدود وقد تحول إلى أفعي يلدغ لدغات مؤلمة مؤثرة أحدثت شللاً في العقل الأمريكي سرعان ما استعاد قدراتـه الذهنية وهو يبحث عن المسبب والأسباب من خلال حقيقة تنامي الإرهاب بصورة لم تكن أبداً في الحسبان .. وكـان لابد من مواجهة صريحة قوية بدأت بخنق بويضة الإرهاب في أفغانستان لكنها مجرد بويضـة للأفعـي .. تتخـذ مـن السعودية ملاذاً آمناً لها ولم يكن من الصعب علـى الإدارة الأمريكية التعرف على خصائص هـذه الأفعـي درجـة سميتها ومداها والأسلوب الأمثل للتخلص منها .. فالسعودية أكثر بلاد الإسلام تخلفاً بمذهب وهابي يعود تاريخه للقـرن الثامن عشر وبشريعة عجب اختزلها أصحابها في دعـوة للعنف وتصنيفات للكفر ومخاصمة عنيدة لحقـوق الإنسـان وتكريس انتباذ المرأة ومعاداتها .. لهذا كانـت السـعودية هي المحط الأول لأمريكا في زحفها لتصـفية الإرهـاب " هدفها قتل الأفعي في موطنها قبل استفحالها لكن لحساسـية

وضعها المقدس داخل الضمير الإسلامي وبوجود المـزارات المقدسة على أرضها فقد استعاضت أمريكا بخطة قتل الأفعى بفرض الحصار عليها ومن ثم فقد وقع الاختيار على العراق للاقتراب من الأفعى لأقرب مسافة ممكنـة .. مـن هنـاك تستطيع رصد حركتها لتتحين الفرصة للإيقاع بها بالضـغط على رأسها حتى تفرغ السم بعد ذلك تصبح المهامـة سـهلة بالتعامل مع الأفعي العزلاء .. وهذا ما حدث فقد تم غزو العراق في أيام وباتت الحية في متناول يد أمريكـا ولأول مرة في تاريخ السعودية تتعاظم حركات المقاومة ضد النظام السعودي .

والسؤال وماذا بعد ؟! بقراءة متأنية لخريطة شـجرة الإرهاب نجد أن الثمرة التالية المعدة للقطف فـي العنقـود مصر .. وعملية التمويه التـى اتبعتهـا الإدارة الأمريكيـة بمعاقبة سوريا هدفها أبعاد الأنظار عـن خطوتهـا التاليـة فمصر بفقرها المدقع واعدادها المهولة ونظامها السياسـي القابع في كهف قوانين الطوارئ ونصوصه التى لا تشـرع الا للعبيد وتاريخها الضاربة جذوره في الإرهاب حتى مـع قدرة الأمن على تطويقه بأدواتـه القمعيـة واقتصـادها

المتداعي وتعليمها المتدني المحوط بأسلاك شـائكة مـن جهالة القرون الوسطى . كل هذه الأثقال على كتف مصـر حولتها إلى بؤرة من بؤر الإرهاب المستديمة المتقيحة لذلك عندما استشعرت القيـادة المصـرية بخطـورة التوجـه الأمريكي بوضع مصر على خريطة أولويـات الإرهـاب انتابها القلق وبدأت تبحث عن مخرج من هذا المأزق تتقى به مخالب أمريكا المشهرة في الخارج وتخفف عنهـا سـهام النقد والمطالبة بالاصلاح السياسي واستعملت ذكاء جوبلز فقامت بعملية تمويه مكشوفة حاولت بهـا مـداراة بعـض المحفوفات الخطرة لتطبيق قانون الطوارئ فعدلت مسـميات بعض المحاكم من أمنية لعادية وألغـت بعـض الأوامـر العسكرية التى لا تمس تواجد النظام واستمراريته وأنشأت ما يسمي بمجلس حقوق اللسان!! رشح لرئاسته قبطي أكـل منه الدهر وشرب كما تولي النيابة عنـه مسـلم اتجاهاتـه الدينية متطرفة ظهرت عندما حبذ في مقال له فـي الهـلال حبس الكتاب وبالتالي تقييد حرية التعبير كما أوعـز النظـام لمجموعة لا تمثل في أغلبيتها سوى نفسها بعقد مؤتمر مكتبة الإسكندرية الذى انتهي إلى عـرض مجموعـة توصـيات

مزقت أوراقها وبلّت ثم شرب مائها أعضاء المـؤتمر قبـل مغادرة قاعة الاجتماعات !! تمويه تم أداؤه بصورة اعلامية مضللة لافتة للنظر لم تنخدع به الإدارة الأمريكيـة بعـد غلق كل منافذ وأبواب الحرية بالتسويف في الغاء عقوبـة حبس الكتاب ووقف كل مبادرات الغـاء قـانون "طـارئ" واعلان تعليق الإصلاح السياسي على أمور خارجـة عـن ارادة المجتمع .. احلال السلام فـي فلسـطين وتحريـر الجولان و مزارع شبعا بل والربط ما بين الإصلاح والعراق الجديد بل جمح الخيال بالبعض وهو يعلـن ان الإصـلاح السياسي بدأ منذ سنين ربما خمسة ربما عشـرة .. ربمـا أكثر وهو يسير الآن في طريقه المرسـوم رافعـاً هامتـه مردداً " أن الفرج لقريب"

هذا التمويه الساذج لم ينخدع بـه الإنسـان المصـري البسيط ولم ينطلي على الإدارة الأمريكية التى تفهـم تمامـاً معنى الديمقراطية وطرق ممارستها ومـدى الجديـة فـي تطبيقها لكنها الرغبة المشعوذة في السلطة والبقـاء داخـل تحصيناتها أطول فترة ممكنة ورفض تداولها ومـا مـن

سبب يدعو لذلك سوى الخوف من تكشف أخطـاء جسـيمة ارتكبت في حق المواطن العادي .

اذن فالخطوة القادمة فـي خطـة امريكـا لمحاربـة الإرهاب بعد استقرار العراق الجديد وحتى قبل ذلـك هـي الغزو الإصلاحي للنظام المصري ولن يتم ذلك بتوجيه حملة عسكرية بل بالتهديد بشنها .. والسؤال ما هو موقف القيادة إذا ما حانت اللحظة .. هل ستتجاوب مع التهديد الأمريكي أما أنها ستغلق أمامه كل الجسور ؟! ان ما حدث للعـراق وصدام هو في الحقيقة بعبع لكافة الأنظمة العربيـة تخشـاه وتخشى أن تلقى نفس المصير وهذا ما دفع الشاويش صالح "سابقاً " رئيس اليمن حالياً بعد أن اسـتوعب درس التهديـد الأمريكي بفرض الإصلاح أن ينادي بحلاق الرأس قبـل أن تحلقها أمريكا.

لكن ما نستطيع تأكيده ان أمريكا جادة في موضـوع الإصلاح السياسي وتطبيقه شئناً أم لم نشـأ .. فـإذا كـان الفرض الأول فأهلاً وسهلاً ومرحباً..بمصلحتنا فلـن يثنـي ذلك أمريكا عن هدفها .. فلماذا لا نـتعظ مـن التـاريخ ونحول قضية الإصلاح لصالحنا قبل أن تصبح عظمة في

حلقنا كما حدث في فبراير ١٩٣٩ عندما رفضنا الاجتماع مع مندوبي اليهود ولو تم عقد هذا الاجتماع في موعده لتحقق السلام بين العرب واليهود وما تحولت قضية فلسطين إلى مرض مستعصي مزمن ولما أصبحنا على هذا الحال من التشرذم والضياع .

تبقى سوريا اختيار أمريكا الثالث ولأن نظامها ديكتاتوري فاشي ينتمي إلى العصور الوسطى الحاكم فيها يمثل الاله .. له على الناس حق الحياة والموت يسانده مجاميع من الحرس القديم مهامها استبقاء الهها على العرش والحقيقة التى تعرفها الإدارة الأمريكية جيداً أن سوريا في سبحة احتمالات تطبيق الإصلاح الديمقراطي على المنطقة هى أسهلها .. فبمجرد خلع القيادة المستبدة وأسلاكها الشائكة سينقلب الناس على أعقابهم سينحرون الذبائح ويقيمون الولائم على روح السلطة التى ذهبت بلا رجعة ولن تتكرر تجربة العراق الدامية في سوريا التى تعقدت بثلاثة عوامل الأول تدخل فلول طالبان بكل ثقلها للإنتقام من أمريكا باستنزافها والثاني مساعدة بعض الدول العربية المجاورة والغير لتلك الفلول بالمال والسلاح لافشال

العملية العراقية وثالث العوامل يكمن في التركيبة الطائفيـة للعراق شيعة وسنة وأكراد ..

زغب الإرهاب الذى ساعدت أمريكا على نموه وتقويته .. واستطاع بعد أن طال ريشه ان يحلق بعيداً إلى الأجـواء الأمريكية ليقطف ثمار قوته يوم ١١ سبتمبر .. هذا الزغب هو الذى تقوم الولايات المتحدة بقصقصة ريشه في أفغانستان والعراق وغداً في السعودية ومصر وسوريا .

معاد ومكرر

عبارات منمقة وكلمات رنانة على لسـان كثيـر مـن المسئولين تعودنا سماعها "بدأنا الإصلاح السياسـي منـذ سنوات عدة " "أن تنفيذ الإصلاح لا يتأتي بطريق الصـدمة الديمقراطية بل بأسلوب الخطوة خطوة " " لكل بلد عربـي رؤيته في نوعية الإصـلاح حسـب المكنـون العقائـدي والتاريخي والديني لكل مجتمع " لا دخـل لنـا بمشـروع الأوسط الكبير " ليس لدينا عصا سحرية لإحداث التغييـر" "علينا أن نواجه مشكلة التضخم الإنسـاني دون تـأخير" " عبارات وكلمات مطاطة لمشاهد معادة مكررة ملّ النـاس سماعها من كثرة تكرارها .. الأقوال شئ والأفعال أمـر آخر بعيد تماماً عن هذا الشئ .. فالشـئ شـكل هندسـي متوازي الأضلاع مفهوم ومعـروف للخاصـة والعامـة الديمقراطية .. الحرية .. الإصـلاح السياسـي .. عـلاج التضخم الإنساني .. مؤازرة محدودي الدخل القضاء علـى البطالة .. تطوير التعليم لكن الأفعال مغـايرة تمامـاً لهـذا

الشكل منبعجة .. مترامية المفهـوم " هلاميـة التفسـير .. غامضة المرمي .. بلا خطوط تحددها .. المعنى الوحيـد المستخاص منها هو الاستبقاء والاستحلال .. البقـاء فـي السلطة حتى الممات وتبريـر ذلـك بمشـروعية اجـراء الاستفتاء على شخص الرئيس ومطاردة كل مـن يطالـب بتداول منصبه في البر والبحر والجو بقاذفات الأمن مـن صواريخ مضادة للتعبير وقنابل تفجير الرأى والغام تحديـد المصير فإذا ما استعرضنا هذا الشئ المنبعج الهلامي لتحديد مدي اتساقه مع تكوينات العقل نجد عجبـاً وأى عجـب .. الإصلاح السياسي الذى بدا منذ عشر سنوات غائب ذهـب ولم يعد منذ الخمسينيات وإلا فما هي معالمه .. مقوماته .. مكوناته .. مجالس نيابية ضحلة .. من السفه أن تطلق عليها لفظة نيابية .. قضاء نهم لاسترضاء السلطة على اسـتعداد لغربلة الدستور أو خرقه .. كما حدث في قضية تبرئـة عبد الحميد حسن وكسبه الغير مشروع والغريب .. مجالس تشريعية اندمجت في السلطة التنفيذية يعجز العقل عن تبين ملامح كل منها .. صورة طبق الأصل في تبعيتها للرئاسـة .. والمدهش أن هذا الإصلاح السياسي لا نجد له أثـراً ..

ربما قد بدأ بدايته الطيبة في غرزة مساطيل زى زمان لما كان مجلس قيادة الثورة يحدد مصائر الناس بتهيؤات مخدر الحشيش المحترق في حجرة مغلقة وربما كانت بدايته منذ عشر سنوات عندما خطا خطوته الأولى على سـطح القمـر وهو الآن في طريقه الينا !! وربما وا أعلـم اتـي الينـا متخفياً عن الأنظار على هيئة شـبح أو متقلنسـا طاقيـة الأخفاء أو عن طريق الأسحار باستحضار شمهورش لـه في مبني التليفزيون ليعلن المذيع عن تواجده فجـأة بـدون مقدمات لكن أين هو .. ما هي بشاراته .. كراماته لا أحـد يعلم فما سمعنا عنه قبلاً إلا بعد أن رأينا حبلاً يطوق رقبـة تمثال صدام قبل اسقاطه عند هذا فقط تذكرنا الديمقراطيـة والحرية واحترام حقوق الإنسان والإصلاح الغائب التائه في دروب الزمن الغابر .. أين كنا كل هـذا الوقـت .. لمـاذا تذكرنا فجاة أننا دخلنا عالم الديمقراطية السحري قبل عشر سنوات .. أن القطار يعلن عن نفسه بالصافرة بمجرد اقترابه من محطة الوصول .. فما بال الديمقراطية لا تعلـن عـن نفسها عند دخولها محطة الحرية ويتم ارجاء هذا الإعلان عشر سنوات وكأن دخولها جريمة يجب التسـتر عليهـا !!

لكننا تذكرنا فجأة الإصلاح السياسي ولما تذكرناه بدأنا فـي وضع أسس ومعايير تواجده بما يتفق مع خصوصيات كل مجتمع ومكوناته العقائدية والثقافية والإجتماعية فما يصلح منهجا لمجتمع يعد ترفاً لمجتمع آخـر " وحريـة التعبيـر والاجتماع والتظاهرات أفعال مباحة بنصوص القوانين في بعض المجتمعات ومجرمة أيضا بنصـوص القـوانين فـي مجتمعات أخرى وبالتالى نصـبح أمـام معـايير مطاطـه مزدوجة تبتعد بنا عن أصل مشكلة الإصـلاح السياسـي يتم من خلالها استنسـاخ صـور غيـر مشـروعة مـن الديمقراطية يسندها حجج واهية مرة بالاستمساك بالعقيـدة وأخرى بالتكوين الثقافي وثالثة بالخصوصية وبالتالي يـتم تخليق أجنة مشوهة شليلة للديمقراطية بعيدة عـن مكونهـا الحقيقي ..

لقد أخذنا عن الغرب كل الاختراعات بدءاً بالكهربـاء وانتهاءاً بذبذبات الكمبيوتر ولم نرفض أيـا منهـا بحجـة التخالف مع خصوصياتنا إلا هذا الشيطان الذى تمثل لنا في الديمقراطية السوية وهذا ما يدفعنا للتساؤل هل خصوصياتنا تتناقض مع مفهوم الحريـة هـل ثقافتنـا تتعـارض مـع

الديمقراطية هل ديننا يحرضنا على رفض مواثيق حقـوق الإنسان فإذا كانت الإجابة بالإيجاب فلا أقل من أن نحـرم على أنفسنا كل اختراعات الكفرة بما فيها الطائرة والسـيارة والكهرباء ونفضل عليها الآتانا والجمل ومصـباح الزيـت أو نرفض كل ما يتعارض مع حرياتنا .

وما ينطبق على قبول أو رفض خصوصياتنا للحريـة والديمقراطية والإصلاح تنطبق قواعده أيضاً على مسـيرته المحسوبه بالخطي .. خطوة تليها خطوة والسؤال هل يـتم قياس الخطوة بحساب الزمن أم بطولها ؟! بالتعثر فيهـا أم بانجازها وكم السنين تستغرقها الخطوة الواحدة ؟! وكـم عدد هذه الخطوات حتى نصل للإصلاح الأساسي ؟! ومـا هي البرامج التي تضمها خطوة واحدة وعـددها ونوعهـا ومحدودها الزمني .. ربما سنة اثنين .. عشرة .. عشرين .. لا أحد يعلم إلا هذا الذى استأثر بالعلم وحـده العبقـري الفريد من نوعه الذى يعرف وحده عدد الخطوات اللازمـة لاتمام الإصلاح وتوقيته والزمن الذى يسـتغرقه .. ولأنـه الأوحد العالم ببواطن الأمور فليس لاحد الرعاع من أمثالنـا

الحق في سؤاله أو الاستفسار منه أو التخلق حول مفهومـات أحاديثه الغامضة .

هل تعلمت

سياسة الكذب منا يا بوش

في أواخر الحديث الذى أدلي به الرئيس بـوش دبليـو للأهرام قال متفضلا انه يشعر باحترام كبير للثقافة العربيـة وللدين الإسلامي وهذه ليست حرباً ضـد الإسـلام فالـدين الإسلامي دين مسالم فالإسلام هو السلام .. هذه حرب ضـد إناس أشرار يقتلون الأبرياء.

هذا هو نفس ما قاله الزعيم بوش للأهرام ونحـن لـن نتخالف معه أن الدين الإسلامي دين سلام لكن مـا نأخـذه عليه أنه كذب ومن صميم عقيدتنا أن جزاء الكـاذب النـار خالداً فيها أبداً .

لقد حاول بوش دبليو أن يخدعنا بحديثه المعسول بكلامه عن الإسلام السلام والثقافة العربية الجـديرة بـالاحترام .. لكن هل هذه هى حقاً مشاعره تجاه الإسلام وهل هـو حقـاً يوجه حربه الشرسة ضد حفنة أشرار وليس ضد الإسلام

الإجابة بالإيجاب على هذه الأسئلة تحمل كثيراً من الشكوك والريبة حول صدقها أما الإجابة بـالنفي فهـي الإجابـة الصحيحة التى تعبر عن مشاعر بوش التى يحملها للإسلام والمسلمين .. كنا نظن أن الرجل أكثر صراحة منـا وهـو كذلك عندما يتحدث عن مشاكل بلاده أمريكا لكن عندما تناول بحديثه العرب والإسلام كانت كذبته واسعة مفضوحة فمـن أين تأتى كل هذا الاحترام للثقافة العربية وللدين الإسـلامي السلام هل من أرواح قتلى غزوة ١١ سبتمبر أو قتلى الجنود الأمريكيين في العراق .. أن هى إلا فقاقيع ماء في الهواء سرعان ما تتطاير .

كان من الممكن لبوش القول أن الإسلام هـو مصـدر الإرهاب الرئيسي في العالم وأن المسلمين يفرخونه فـي حضانات الشريعة الغراء وأن الإسلام السلام أصبح خطـراً على الحضارة الغربية .. وعلى العالم المتحضر أن يتحـد للقضاء على هذا الخطر الداهم وأن القضـاء عليـه لا يـتم بمجرد التصفية الجسدية لبعض فصائله فغداً وغدا هذا ليس ببعيد يتم تفريخ مجموعات أخرى منه فإذا ما تم القضـاء على الصف الأول تقدم الصف الثاني ثم الثالـث .. صـف

يخلفه صف آخر بلا نهاية ..آلاف على استعداد للإنتحـار من أجل الإرهاب الأب الشرعي .

كان من الممكن لبوش أن يعترف بمشاعره الحقيقيـة تجاه الإسلام والمسلمين التى أفصح بها في البدايـة وهـو يتحدث عن حرب صليبية لكنه فضح نفسه وهو يتحدث عن مشاعر الإحترام التى يكنها للثقافة العربية .. بـالقطع هـو يقصد ثقافة العنف التى حولت ناطحات السحاب إلى انقـاض ومواطنيه إلى أشلاء .. لكنه أراد أن يجامـل فوقـع فـي محظور الكذب وهو يدعي أن حربه ليست ضد المسلمين بل ضد حفنة أشرار .. لكن من هم هؤلاء الأشرار .. مسلمي أفغانستان والعراق وغداً مصر والسعودية .. فهـل بـوش حقاً يحترم الإسلام الذى يدعو إلى الاستشهاد .. وهل يمكـن تصديق رجل أكتوي شعبه بنار الإرهاب وهو يقـول أن الإسلام دين سلام مخالفاً بذلك كل آراء مفكريه ومستشـاريه وتيارات حزبه التى تصور الإسلام بالوحش الاسطوري النهم للدماء .. بل متخالفاً مع عقيدته التى تعتبر الإسلام العدو رقم واحد لأمريكا والذي يجب أبادته من على خريطة الحياة .. إن أمريكا ما غزت العراق إلا لتقترب من الأفعى على حـد

قوله التى تتخذ من السعودية موطناً لها هدفها القضاء عليها هذه هى الحقيقة التى حاول الزعيم بوش اخفائهـا عنـا أو التمويه عليها بكلام لا يقدم ولا يؤخر .

لابد أن يعرف الجميع أن النية المبيتة لأمريكا هى فـي المرحلة الأولى تلجيم الإسلام قبل القضاء عليه لو قال بوش ذلك كنا أحترمناه وقدرنا فيه مصارحتنا بما يعتمل في نفسه انه مثل ثعبان الكوبرا يزحف في نعومة وسلاسة قبـل أن ينقض على فريسته لكنه يعـرف تمامـاً هدفـه .. يتهيـأ للإنقضاض في نفس الوقت الذى لا يثير فيه انتباه الفريسـة يطمئن المسلمين بمعسول العقول في نفـس اللحظـة التـى يستعد فيها للقنص والمسلمون يصـدقون لا لشـئ إلا أنهـم يريدون أن يصدقوا فليس أمامهم طريق آخـر يسـلكوه إذا ركبوا دماغهم .. بوش جاء ليحـرث الأرض التـى تنبـت الإرهاب ونحن بغبائنا وديكتاتورية حكامنـا سـاهمنا فـي الإرهاب وفى وصوله إلى هذا المستوى الرفيع جـداً مـن الخراب والتدمير ساهمنا بتبني برامج متطرفة في التعلـيم وفى الوعظ والإرشاد بل وفى مسيرة حياتنا اليومية .. وفـى

النقاب والحجاب واليوم نلوم أمريكا على ما ارتكبنـا بحـق أنفسنا من أخطاء .

صديقي بوش عد إلى صوابك وصحح أقوالك وواجـه المسلمين بنواياك تجاه الإسلام ربما لو فعلـت لاسـتراحت ضمائرنا .. ربما لو حددت لنا هدفك المستتر من الحـرب لنامت أعين الشك قل لنا أنك لا تعادي عقيدتنا وهي ليست هدف حربك الشرسة .. وأن علاقة الإنسـان بربـه علاقـة مقدسة لا دخل لك ولغيرك فيها لكن المقصود من حربـك هو تهجير الإسلام المتطرف عن بلادنا .. لـو قلـت ذلـك لشكرناك .

المجلس القومي لحقوق الإنسان

في احدى برامج التليفزيون "الضحلة "أشاد د. كمال أبو المجد بأسلوب فج بالمجلس القومي لحقوق الإنسان حتى ظن الكثيرون أنه تنزيل من أعلى صحيح أن قانونه مرسل مـن قبل هيئات عليا أى من أعلى سلطة في الدولة لكنـه قابـل للتشريح والنقد والتحليل . علام هذه الضجة العليا علاما .. مجلس استشاري يتبع هيئة استشارية قراراته استشارية .. يتم اختيار أعضاءه من قبل النظام القائم .. لا ينتمي بتشكيله هذا لإحدى منظمات المجتمع المدني .. مهمتـه غامضـة تثور حولها وحول توقيته الشكوك فلماذا الآن ؟! .. عناصر كثيرة تهد بنيانه بل من الممكن أن تهدمه من خلال تساؤل هام ما الهدف اذن من تشكيله .. قبل الإجابـة عـن هـذا التساؤل لدينا بعض ملاحظات لابد من ذكرها .. أولها أن المجلس رغم تنوع اختيارات أعضائه إلا أنه يدخل ضـمن واحد من تشكيلات السلطة . ثانياً يرأس المجلـس رجـل مخضرم دولياً وينوب عنه آخر مخضرم إسلاميا .. ورغـم

هذا الإختلاف الظاهري إلا أن الإثنان يشتركان في تواضع الخبرة في مجال حقوق الإنسان .. ثالث هذه الملاحظات أن سلطات هذا المجلس في اتخاذ قرار ترتبط ارتباطاً جـذرياً باتجاهات السلطة .. يتبقى الملاحظة الرابعـة أن هـذا المجلس أنشئ فقط لذر عيون دول العـالم عـن انتهاكـات حقوق الإنسان المستمرة داخل القطر المصري .. يتبقـي بعد ذلك السؤال المطروح ما الهدف أذن مـن تشـكيله .. عملية تجميلية لوجه الديمقراطية القبـيح المشـوه بأفاعيـل الحكومة السودة .. لذلك ولأنه مجرد عملية تجميل .. مكياج .. تزويق واجهة خارجية فلم يراعي تشكيله تمثيل النقابات ليصبح كل رئيس نقابة بحكم القانون عضواً فيه .. ولم يفكر أحد أن يكون من ضمن أعضائه واحد أو اثنين من ضحايا حرية التعبير الذين سجنوا أو عذبوا من أجل ابداء آرائهـم كما لم تتضمن لائحة تنظيم المجلس أو قانونـه الأساسـي نصا يوجب انتخاب الرئيس والوكيل من قبل الأعضاء حتى يبيض وجه النظام .. الأدهي من ذلك كلـه وضـع قبطـي لرئاسة المجلس .. لا أعتراض على تقلد قبطي أى منصـب حتى لو رئيس وزراء لكن في هذا المنصب لا وألـف لا

ذلك لأن عمل المجلس الذي يرأسه قبطي سيواجه معضـلة في ظل رقابة الأزهر للأعمال الإبداعيـة .. فلـو طلـب الأزهر مصادرة أحد هذه الأعمال التى يدافع عنها بطبيعـة الحال عنها المجلس القومي لحقوق الإنسان باعتبارها قضية تمس حرية التعبير ؟! فإما إن يحدث فيها صدام قـد يـؤثر على الوحدة الوطنية أو استسلام يقضى تماماً على المجلـس بعد عجزه عن تحقيق هدفه المعلـن مـن خـلال رصـد الانتهاكات والدفاع عن حقوق الإنسـان . ومنهـا حريـة التعبير فضلا عن حساسية الموقف السياسي عندما يتصدى قبطي لبحث شأن اسلامي أو الاعتراض عليه وهو بذلك يلج منطقة محظورة سياسياً.

أمر آخر رغم احترام واجلال رجل القضاء من قبـل الخاصة والعامة ورغم أن دخوله في تشـكيلة المجلـس ممثلاً برئيس محكمة نقض ودستورية له أهميته لكن ماذا عن بـاقى الطوائـف .. المهندسـين والأطبـاء والصـيادلة والمحاسبين والسفراء وأساتذة الجامعات ورجال الأعمـال والعاطلين .. أو ليس من الأجدى تواجدهم في التشكيل لما يمثل لهم هذا التواجد من أهمية بالنظر للانتهاكات التى تقع

عليهم .. نعم ربما تتسع دائرة الاختيار لتشمل كثير مـن الفئات .. ولم لا .. فمن هذه الإعداد الضخمة يمكن تكـوين جمعية عمومية تكون من مهامها انتخاب المجلس القـومي لحقوق الإنسان .. بعد هذا نأتي لملحوظة هامة خاصة بسقف السن .. كثير من المرشحين يقترن عملهم بلقب سابق وسابق يعنى ماضي .. ومآزق صحية وازمات قلبية وزهـايمر .. فهل هذا هو المطلوب أن يكون كل متحكم في مصائر الناس سابق تجاوز الستين وربما السـبعين وأن يحكـم السـابق الحاضر والمستقبل ؟!

يحمد لتشكيل المجلس أنه لم يأخذ بالتقسـيم النمطـي عمال وفلاحين وفلاحين كما هو حادث في مجلسي الشعب والشوري لكن ليس معنى هذا اهمال تلك الفئات والبعد بهـا عن التشكيل بل يمكن اشتراكها بأسلوب غير تقليدي يعتمد على الكفاءة والخبرة في مجال حقوق الإنسان .

لكن لا يحمد له مركزية التشكيل في القاهرة .. فلـم يراع في تشكيله العواصم الإقليمية وكأنها لا تعـاني مـن انتهاكات حقوق الإنسان فلا يساق يومياً أطفال دون العاشرة بالمئات داخل سيارات متهالكة إلى المزارع مقابل فتـات

.. ومياه الشرب هناك نقية إلى حد تعبئتها فـي زجاجـات وتصديرها لأوربا .. ومياه الري لم تلوثها مياه المجـاري !! والتعليم وصل لأعلي مستوي في القرى والكفور والنجوع .. بل نافس مدارس أوربا !! وكثير وكثيـر .. وهـي كلهـا حقوق مهدرة للإنسان المصري في العمل وشـرب ميـاه نظيفة وأكل خضروات لا ملوثة .. وتعليم على مستوي .

فهل حقا ما أمامنا مجلس لحقوق الإنسـان أم مجلـس حقوق اللسان وهو يخرجه لنا يسخر منا بأحاديث أبو المجد الإعلامية والصحفية حول دور المجلس المحوري الهام في الدفاع عن حقوق الإنسان المصري وكان يجب عليـه أن يسأل نفسه قبل بذل هذا الجهد الخارق في انشـاء المجلـس وتشكيله وتكويناته الإدارية والفنية أين هو هذا الإنسان وأين حقوقه .. فحتى يستطيع أداء دوره لابـد وأن يكـون هـذا الإنسان على الخريطة ولابد له ايضاً أن تكون لـه حقـوق والحقيقة أن ما نراه على الساحة مخلوق هلامي فقد حتـى الرغبة في الحياة منتقص الحقوق بل مفتقدها فإذا كان فاقد الشئ لا يعطيه فكيف يمكن الدفاع عن شئ ليس وجود له أصلاً .. وإذا كانت حريته بكافة صورها من حريـة تعبيـر

وانتقال واجتماع وتظاهر وغيرها وغيرها مفقودة بنصـل حظر في قانون الطوارئ فكيف يمكن الدفاع عـن حريـة غير مملوكة أصلاً .. وإذا كان هذا المخلوق الهلامي يمكن القبض عليه وسجنه واعتقاله وتفتيش منزله ومصادرة أملاكه ومنعه من السفر وتقييد حركاته لأي سبب وبـدون سـبب فكيف يمكن الدفاع عن شئ هلامي لاحقوق له .

ومن ثم فيجب أن تنحصر مهمـة المجلـس القـومي لحقوق الإنسان في تبني قضية التحرر من احتلال قـانون الطوارئ الجاثم على أنفاس الشعب المصري منذ خمسـين عاماً وهل يجرؤ !! هل لديه الشجاعة ليتطاول بالنقد على أسياده .. الذات العليا وهى سادرة في غيها بتشـكيل إرادة المخلوقات الهلامية إلى أشكال نمطية لا ابداعيـة لا أعتقـد ولا أظن أن لديه الشجاعة ولا حتى القـدرة علـى إعـلان الخوف .

النبذ قبل الأخذ

قطع يد السارق تشويه جسدي .. تاريخ. رجم المحصنات وجلد الرجل بدائية مغلفة بالقسوة.. تاريخ . نظام العبيد والجواري اهدار لحقوق الإنسان .. تاريخ. زواج الرجل بأربعة نسوة .. رفاهية جنسية توقفت قاطرتها في القرن ٢٠ .. تاريخ. اجبار المرأة على الدخول في طاعة زوجها يدمر أركان حرية الاختيار .. تاريخ. السيف والنبال والسهام والحراب والمنجنيق آلة الحرب أصبحت في ذمة التاريخ. الحصان والجمل وسيلة انتقال لم نعد نراها سوى في الهرم لركوب السياح .. تاريخ. استعباد المحاربين وسبي النساء أمر تحظره القوانين الدولية .. تاريخ. مشاركة الملائكة البشر في حروبها وتحويل العصي إلى أفاعي .. إن هي إلا أساطير الأولين تحريم الصور والتماثيل حجر عثرة ضد رقي الذوق والإبداع .. تاريخ . تقديس حجر وتقبيله عمل وثني .. تاريخ. ضرب المرأة حتى ولو كان زوجها عمر الفاروق عمل همجي تاريخ . الطلاق

بإرادة منفردة تعسف فـي اسـتعمال الحـق .. تـاريخ . السرارى أو ما ملكت الإيمان أحدى منظومـات الاسـتعباد الإنساني .. حبة في مسبحة التاريخ. والإسراء والمعـراج والبراق اقصوصات لضمها التاريخ في عقـده . وفـرض الجزية على القبط نظام عنصري تم القذف به في مزبلـة التاريخ. قانون الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسـلمين قانون بائد .. تاريخ . حكم الفـرد الشـمولي الـديكتاتوري نظام عفا عليه الزمن .. تاريخ . تكفير غير المسلم .. يمثـل اعتداء صارخ على المعتقد .. تاريخ . حتى الإسـلام نفسـه أصبح تاريخاً. حقبة أضاءت بحضارتها ظلمات العـالم .. لكنها الآن تاريخ " فحضارة الإسلام مثل أى حضارة مرت بثلاث مراحل الطفولة أيام الرسول ودعوته ثـم الشـباب عندما فتح الإسلام أبواب مغارات المجهول المظلمـة ثـم الشيخوخة التى عاشها أبان القرن السادس عشـر والسـابع عشر الثامن عشر والتاسع عشر والتى انتهت فـي القـرن العشرين بالانهيار التام في كافة منـاحي الحيـاة وبالتـالي تحولت تلك الحضارة مثل كثير من الحضارات السابقة إلى تاريخ يدرس في كليات متخصصة في الجامعات . فلمـاذا

نصر على استحلاب التاريخ مثل بمبونه رغم أنهـا تحمـل السم الزعاف .. كل شئ يتغير ويتطور إلى الأحسن مـن خلال قاعدة البقاء للأفضل هذه سنة الحياة .. لا تبديل لهـا ولا تغيير فلماذا اذن الإصرار على التعليب مثل انشـوجة داخل علبة صفيح صدأه .. وفى النهاية ديناصور ينقـرض .. هذا هو حالنا نمر بحالة من الإنقراض في كل ما يتعلـق بحياتنا السياسـية والثقافيـة والإجتماعيـة والاقتصـادية والتعليمية من خلال كبت الحريـة ومعـاداة الديمقراطيـة والتسييس الثقافي والإخـلال بالمسـاواة ومعـايير الكفـاءة الاجتماعية والفساد الاقتصادي وقد شـمل كـل المرافـق وأخيراً رفض تغيير المنظومـة التعليميـة .. ان ريشـة التاريخ عاجزة عن رسم خريطة مستقبل الشعوب بأدواتها البدائية المتخلفة .. كمن يبني ناطحات سحاب بالطوب اللبن . الناس ليست في حاجة اليوم إلى البراق لينقلهم من مكـان لأخر .. لكنهم في حاجة إلى الخيال الذى حلق بهم في السماء ليجسم الطائرة في صورة بغل بجناحين .. الناس قرفـت من نصوص متهالكة تتحكم فـي مصـيرهم مـن سـاعة الاستيقاظ حتى الممات .. نصوص تنتهي بهم إلى العدم ..

ولا يمكن القول بتجديد تلك النصوص أو تعديل بعض البنود .. المطلوب هو الإحلال وليس التجديد أو اعادة التبويـب .. فلا يمكن إباحة تعدد الزوجات في حدود اثنين بدلاً مـن اربعة أو ضرب الزوجة حتى بفسيلة بدلاً من كرباج عمـر الفاروق أو تحريم بعض التصاوير أو التماثيل تحت أي بند أو اجبار المرأة على الدخول قسراً دون ارادتها في طاعة الرجل ولو بصورة مخففة ولم يعد قطع يد السارق وتشويه جسده تشريعا انسانياً بعد أن لفظته حتى المجتمعات المتخلفة .. أما رجم الزانية وجلد شارب الخمر فهو يعبـر عـن عقلية انسان الكهوف .. أمثله كثيرة تضـج بـاللامعقول واللامفهوم في عالم اليوم الذى هجر كل أدوات الماضـي من جمال وأحصنة وحمير وبغال ورماح وسهام وسـيوف وأواني وزيت اضـاءة واسـتبدلها بالسـيارة والطـائرة والصاروخ والقنبلة والشوكة والسكين والملعقـة والثلاجـة والتكييف والقطار والكمبيوتر والتليفون والكهرباء والغازو والبترول .. هذا التغيير الأدواتي من المفروض ان يواكبـه تغيير في الفكر .. فكيف تسير عقلية عصر الجمال والحمار قاطرة الحضارة دون أن يحدث نكسـة .. عقليـة عصـر

الجمل والحمار تعتمد في تحركها على منظومة الخطـوة والتى ينادي بها البعض الآن مـن رمـوز النظـام كمـنهج وأسلوب للإصلاح السياسي رغم أن المطلوب هـو تسـيير قاطرة .. فكيف يتفق النقيضان من المستحيل تسيير قـاطرة بأسلوب خطو الحمار .. لهذا توقف كل شئ حتى الفكر .. حقبة حكم الدين انتهي أجلها الإفتراضي في تقرير مصـائر البشر فلا ازدهار و لاتقدم ورجال الدين يذبحون بسيف الدين البتار كل مفكر يحاول رفع شعلة الحرية .. مثل هذا المفكر يصبح ما بين عشية وضـحاها متهمـا بـالكفر والإلحـاد ومزلزلا بمحاكمة جنائية وما يترتب عليها من توابع تمـس لقمة عيشه وحريته بل وتواجده .

ان الإسلام حضارة أثْرت وأثّرت .. أثْرت الإنسـانية بنبل مقصدها وأثّرت على ما سبقها من حضارات فشـذبت أغصانها السرطانية وأورقت الجـاف منهـا . مثـل هـذه الحضارة ليست مجرد ظرف عارض في تاريخ الشعوب بل هى قطعة منه فصلها عنه يعني القيام بعملية تشويه متعمـدة .. لكن ليس معنى ذلك وقف زحف مسيرة العقـل البشـري

أمام عتباتها المقدسة .. تاريخ عظيم .. نعم .. ننحنـي لـه اجلالاً واحتراماً واجب علينا لكن إلى هذا الحد وكفي .. فلا نتمادي في تهيؤاتنا ونستعمل أدواته الكسيحة في إدارة شئون مجتمع مدني أو نحولها إلى أداة قمع في يد رجال الدين أو إلى مادة تلقين في المدارس لتغييـب العقـول وأن نغـض الطرف عن المطلب الملح للعالم الخارجي وصفوة الداخل أن نضع الدين في مكانه الصحيح علاقـة الإنسـان بربـه كوكبها القرآن وما عداها تاريخ مثلها مثل كثير من الديانات اليهودية والمسيحية والزرداديتشية والبوذية .. كلها دخلـت التاريخ من أوسع أبوابه .. لن يجدي في القـرن الواحـد وعشرين تجميل النص الديني بتحميلة معاني عصـرية لا يحتملها بالتأويل أو التفسير ولن يصلح أعوجـاج الـنص بتزويقه بجماليات تجديد خطابه .. لأن النص أصبح خارج الخدمة فاقد الصلاحية لا لسبب إلا لأنه لم يعد يتناسب مـع العصر ولا مع بديهيات التطور فليس معقـولاً ان يكـون المطلوب منا الوصول للقمر بتسلق حبل أو المريخ بالبراق !! هى مرحلة من عمر التاريخ انتهت واسترجاعها يعني تجميد التطور في فريزر التخلف وهذا هو الحادث الآن ..

مازلنا نتمسك بتطبيق التاريخ الإسلامي منهجـاً وأسـلوباً وسلوكاً مع تعارضه لأولويات الحضارة والتقدم .. لـذلك فليس أمامنا للوصول إلى غايتنا في الارتقاء سوى النبـذ ثم الأخذ أولا نبذ كل ما يتخالف مع التطور وحتى يتم ذلـك لابد من اتخاذ خطوات ايجابية لتحقيق هذه المرحلة بتحجيم مرجعيات الدين سواء في الأزهر أو الأوقاف أو الفتيا حتى ولو أدي الأمر إلى الغاء دورها نهائياً في منظومة البشر الحياتية يعقبها عملية اصلاحية للتعليم بكافـة مراحلـه و لمنهج الخطابة في المساجد يتم التركيز فيها على تنـاول المشاكل الإنسانية يلي ذلـك اسـتبدال قـانون الأحـوال الشخصية بقانون مدني ينتظم المسلمين والمسيحيين وكافـة الأديان دون تفرقة مع إلغاء تعـدد الزوجـات والطـلاق بإرادة منفردة .. أمور كثيرة .. يجب انتباذها قبل استحداث أخرى يراعي فيها التجديد .

وحتى يتحقق ذلك علينا أن نغير العقلية النمطية السائدة في مجتمعنا .. عقلية رجعية متحجرة هذه العقلية لن تتغير بالأناشيد الإذاعية أو بالتوسلات الإعلانيـة بـل بالضـرب بشدة عليها لتفكيكها ثم تطهيرها ولن يتم ذلك إلا بفـرض

قوانين رادعة تحكم السلوك سنة .. اثنين .. ثلاثة .. حتى نتعود على قيمها وتتحول إلى نسيج داخل عقولنا ..

بغير هذا فسنظل نحرث في البحر ربما لنصف قـرن آخر أو أكثر .

الشكوك التاريخية
لليهود تجاه العرب

ما بين هجرة الرسول إلى المدينة في صيف ٦٢٢ م وبين ٢٠٠٤ حوالى ألف واربعمائة عام حدثت خلالها أحداثاً جساماً فقد أستوطن أحفاد اليهود الذين قاتلهم الرسول وشردهم من وطنهم واستطاعوا تحقيق أملهم في قيام دولة إسرائيل بعد طول تشرذم وضياع وكما نحاول نحن العرب اليوم استرضائهم فقد فعل الرسول قبلنا وكان نصيبه الفشل مثلنا لكنه حول الفشل إلى عاصفة هوجاء اقتلعتهم من جذورهم أما اليوم فيا حسرة نتسول رضائهم بشتى الطرق في اذلال ومهانة بلا جدوى فهم الأشد بأسا والأغزر علماً والأعلي باعاً في الحريات والديمقراطية والأكثر ثراءاً أما نحن فلسنا سوى دود لا يملك سوى الدموع في مآقية فما أشبه اليوم بالأمس .

بعد هجرة الرسول للمدينة كانت ترفرف داخلة أمنية ظن أنا قريبة المنال وهو يدعو اليهود لاعتناق دين الإسلام .. لذلك حاول التقرب اليهم بسن بعض الشرائع فشرع صوم عاشوراء أسوة بصوم اليهود يوم الكفارة وصلاة يوم الجمعة على نسق السبت اليهودي مع اختلاف في الطقوس ..

أمنية ظلت تراوده فترة من الزمن وهو يحاور أحبار اليهود ويدعوهم لدين الإسلام وهم ينكرون عليه دعوته إلى أن تبخرت هذه الأمنية وهم ينتقدون ما ورد بالسور المكية في القرآن عن العهد القديم بل وصلت الأمور إلى حد انكار نبوة محمد ورسالته والى تكذيب القرآن وتأزمت الأمور بينهما وهم يجهرون بعدائهم للرسول ورسالته والرسول يهددهم بالثبور وعظائم الأمور .

وعندما يأس الرسول من دخول اليهود في الإسلام بل وأصبحوا عقبة في انتشار الدعوة قرر استئصالهم ووقع اختياره الأول على بنى قينقاع فلم ينقضي شهر على انتصاره في معركة بدر حتى وجه اليهم حملة بذريعة - قتلهم رجلا مسلماً كان قد قتل يهودياً أثر خلاف نشب بينهما - فانتصر عليهم واضطرهم إلى الاستسلام وبعد أن أصدر الرسول أمراً بقتلهم وسبي نسائهم عاد وأخرجهم من ديارهم واستولى على ممتلكاتهم .

ووقع اختياره الثاني بعد غزوة أحد وهزيمة المسلمين وقتل أربعين من رسلهم في ربوع قبيلة هوازن وقع اختياره على بني النضير فقد اتهمهم الرسول بخرق معاهدة الحياد بينهم وبين المسلمين والتجسس عليهم لحساب المشركين . وحاصرهم الرسول مما اضطرهم إلى الاستسلام بعد تخلي بنى قريظة عنهم واستولى على أموالهم وأرضهم بعد أن تم تهجيرهم إلى واحة خيبر .

ووقع الاختيار الثالث على بني قريظة بعد واقعة الخندق وبعد أن فك المشركون الحصار عن المدينة .. اتهمهم الرسول بالتواطؤ مع المشركين وعدم التعاون معه

أثناء الحصار وأرسل لهم حملة حاصرتهم١ لمدة أسبوعين استسلموا بعدها فأمر النبي بقتل محاربيهم وعددهم ستمائة وفى بعض الروايات سبعمائة وباسترقاق نسائهم وأطفالهم ليكون مصيرهم عبرة لأمثالهم من الخونة وقام هو بنفسه بضرب أعناقهم الواحد تلو الآخر بسيفه حتى فرغ منهم .

ووقع الاختيار الرابع على مستعمرة خيبر الغنية في سنة ٦٢٨م بعد بيعة الرضوان في الحديبية وبعد الصلح مع المشركين قاد الرسول المسلمين في حملة ناجحة عليها وبعد معركة ضارية استسلم اليهود على أن يخرجوا سالمين مع نسائهم وأولادهم إلا أن الرسول وافق بعد ذلك على بقائهم لاستثمار أراضيهم بشرط دفع جزية قدرها بنصف ما تخرج الأرض ولم يلبث يهود فرك ووادي القرى وتيماء أن استسلموا بالشروط نفسها من غير مقاومة أحياناً أو بعد مقاومة يسيرة .. إلا أن عمر بن الخطاب قام باجلاء اليهود عن خيبر بعد أن أفتي رسول ا اثناء مرضه الأخير لا يجتمع في جزيرة العرب دينان ..

هذا هو باختصار شديد تاريخ العرب مع اليهود .. فإذا كانت اليهود تتشكك في نوايا العرب اليوم فقد وعت درس

الماضي جيداً وهذا الشك لم يأتي من فراغ بل له أساس تاريخي دامي .. فالتجربة التى مرت باليهود على أيدى المسلمين لا يمكن أن تمحي من ذاكرة الأحفاد فقد قام الرسول أما بقتلهم أو ترحيلهم أو اقتسام الرزق معهم فلا غرابة اذن لو تعمقت تلك التجربة المأساوية في وجدان اليهود أو عششت في ضميرهم فقد شبهها البعض هولكست اسلامية واليهود تذبح طائفة وراء طائفة قبل دفنها في الخندق مذبحة لا تفترق عن تحريق اليهود فى الأفران أيام هتلر لهذا يتشكك اليهود تجاه نوايا المسلمين وهم يسترجعون الماضى عندما قام الرسول عليه السلام بذبحهم في الخندق بل وذبح معهم احدى النساء التي كانت تضحك وتسخر منه ولم يغفر لها لديه انها امرأة.

اليهود يخشون من تكرار ما حدث في السابق ولعنة المسلمين تطاردهم في كل مكان من خلال عمليات انتحارية يقتل فيها الأطفال والنساء على يد مجموعة من المسلمين الهمج ومصاصي الدماء ارهابيون يرفضون التعايش مع الأديان الأخرى !! اليهود تخشى ان يعيد التاريخ نفسه ويجيرون على التهجير أو اقتسام الرزق أو القتل لذلك فهم

حريصون على عدم الوقوع في نفس الفخ مرة ثانية وحتى لا يتكرر ذلك تبني اليهود استراتيجية تضمن لهم الاستقرار تعتمد على ثلاثة عناصر أولها تفوق عسكري تكنولوجي يسنده ترسانة سلاح نووي وثانياً الحفاظ على العرق اليهودي نقياً في مجتمع عرقي تمثلة دولة اسرائيل وهذا أحد أسباب رفض اسرائيل اليهودية الاندماج مع العرب في دولة واحدة والتى طرح فكرتها أحد مهاويس القادة العرب وهي فكرة مجنونة إن دلت على شئ فهى تدل على قصر نظر تاريخي وجهل بالشخصية اليهودية المستقلة والتى عاشت قروناً داخل كيمونات عرقية يهودية ترفض الاندماج بالمجتمعات التى تحتضن فصائلها .. لذلك كانت الدعوة لتكوين دولة اسراطين دعوة مملة لا يسندها تاريخ ولا حاضر ولا مستقبل .. مجرد بالونات سياسية لحاكم ديكتاتوري تعود على سماع كلمة آمين من شعبه الذليل في كل مناسبة وبدون مناسبة العنصر الثالث وهو أهم العناصر عدم السماح بتكرار ما حدث لليهود مع المسلمين بالقتل أو النفي أو الابتزاز .. عناصر ثلاثة تساهم الآن في تكون الشخصية اليهودية يدعمها استراتيجية سياسية وأمنية

لضمان نجاحها في مواجهة نمر عربي عجوز يصطاد فرائسه من الذباب" ولم يعد أمامه سوى إعلان الاستسلام والخضوع والخنوع امام الشعب اليهودي الذى يؤمن تماماً أنه إذا ما تخاذل أو تهاون فسيكون مصيره القذف به في عرض المحيط أو قتله أو إبادته كما حدث في العهود الغابرة حتى ولو كان النمر العربي نمراً من ورق .